

دَعْوَةُ الْحَقِّ

الدَّعْوَةُ وَالِدَعِيَّةُ

مَسْئُولِيَّةٌ وَتَارِيخٌ

الشيخ / أبو الحسن الندوي

السنة السابعة - العدد ٨٠٥ - ذو القعدة ١٤٠٨ هـ - يوليو ١٩٨٨ م

دَعْوَةُ الْحَقِّ

الدَّعْوَةُ وَاللِّعْكَاتُ

مَسْئُولِيَّةٌ وَتَايِيحُ

الشيخ / أبو الحسن الندوي

السنة السابعة - العدد ٨٠ - ذو القعدة ١٤٠٨ هـ - يوليو ١٩٨٨ م



مقدمة

سماحة الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى الأمين العام
لندوة العلماء بالهند ، علم من أعلام الفكر الإسلامى لا يحتاج إلى
تقديم ولا إلى تعريف .. فقد عرفه المسلمون وبخاصة طلاب العلم من
الشباب ورجال التربية والتعليم والاعلام فى العالم الإسلامى .. بل
فى أوروبا وأمريكا أيضاً .. عرفوه بفكره الثير ، وعلمه النافع ،
ودعوته الرشيدة ، واخلاصه فى التوجيه والنصيحة .

وهذه ثلاثة نماذج من أحاديثه القيمة ، ومحاضراته النافعة عن
أصول الدعوة الإسلامية ، وعن واجبات الدعاة ومسؤولياتهم -
نقدمها فى كتاب واحد من سلسلة «دعوة الحق» التى تنشرها رابطة
العالم الإسلامى شهرياً .

ما أحوج كل من يتصدى للدعوة الإسلامية تربية وتعليماً
وإعلاماً ووعظاً وإرشاداً : ان يلم بهذه الحقائق التى أوضحها
أستاذنا الجليل أبو الحسن الندوى - حفظه الله ورعاه ، وسدد
خطاه ، وأمهده بعونه وتوفيقه .

أحمد محمد جمال

الفصل الأول

الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

(١)

جبهاتها الحاسمة ، ومجالاتها الرئيسية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
وبعد ! فاني أحمد الله تعالى - وأشكر على من يرجع إليه
الفضل وله نصيب في ذلك - على إتاحة هذه الفرصة الكريمة
للتحدث في موضوع الدعوة إلى قادة الفكر ، والمسؤولين عن
الجمعيات والمنظمات الإسلامية ، والعاملين في مجال العمل
الإسلامي ، وذلك في مهد الدعوة الأول ، ومبعث الرسول ﷺ
في البلد الأمين .

وحق لي أن أنشد البيت العربي القديم مخاطباً لنفسى :
حمامة جرعى حومة الجندل اتسجعى
فأنت بمراى من سعاد ومسمع

إن موضوع الدعوة أيها السادة ! موضوع مطروق معالج كثير
عنه الأحاديث وازدحمت فيه الكتابات والبحوث خصوصاً في

(١) ألفت هذه المحاضرة في مؤتمر الدعوة والدعاة الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي
بمكة المكرمة سنة ١٤٠٨ هـ .

الزمن الأخير ، وتكونت فيه مكتبة ذات قامة وقيمة ^(١) ، فأريد أن أحدد بحثي في الحديث عن جبهات الدعوة الحاسمة ، ومجالاتها الرئيسية ، المقررة لمصير العالم الاسلامي ، فضلاً عن مسيرة الدعوة ، وأركز على النقاط المختارة العلمية (في ضوء دراساتي القاصرة ، وفي ضوء الواقع وتجارب الماضي) ، لحماية الأقطار الاسلامية من التحديات والفتن ، وبالله التوفيق .

١ - تحريك الايمان في نفوس الشعوب والجاهير المسلمة ، وإثارة الشعور الديني فيها ، فإن تمسك هذه الشعوب والجاهير بالاسلام وتحمسها له ، هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد ، وكثير من القيادات وحكومات العالم الاسلامي في حظيرة الاسلام ، وهى مادة الإسلام ورأس ماله ، والخامات الكريمة التى تستخدم لأى غاية نبيلة ، وهى من أقوى المجموعات البشرية وأحسنها سلامة صدر وقوة عاطفة ، واخلاص .

وذلك مع تحقيق الشروط ، والصفات التى تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله ، والتغلب على المشكلات ،

(١) وقد صدرت من قلم المحاضر كتب ورسائل ومحاضرات في هذا الموضوع ، منها :
 ١ - سلسلة «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (١ - ٤) ، ٢ - «زواجر من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» ، ٣ - «الدعوة الاسلامية في الهند وتطوراتها» ٤ - «حكمة الدعوة وصفة الدعاة» ، ٥ - «الدعوة إلى الله ، وحماية المجتمع من الجاهلية ، وصيانة الدين من التحريف» ٦ - «منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء» ٧ - «دور الجامعات الاسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة» .

والانتصار على العدو ، كتصحيح العقيدة ، وإخلاص الدين لله ، والابتعاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسدة ، والعادات الجاهلية . والتقاليد غير الإسلامية ، وعكن النفاق ، والتناقض بين العقائد والحياة ، والقول والعمل ، وسير الأمم القديمة التي استحققت بها عذاب الله وخذلانه ، وكذلك سيرة الأمم المعاصرة التي نسيت الله ، فأنساها نفسها ، وقادت العالم إلى النار والدمار .

هذا مع تنمية الوعي الصحيح وتربيته والفهم للحقائق والقضايا ، والتمييز بين الصديق والعدو ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر ، حتى لا تتكرر مآسى وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية ، والنعرات القومية ، أو العصبيات اللغوية والثقافية ، ولعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية ، فتذهب ضحية سذاجتها وضعفها في الوعي الدينى والعقل الإيماني .

٢ - صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف ومن إخضاعها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية ، والتجنب عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً بحتاً ، والمغالاة في «تنظير الإسلام» ووضعها على مستوى الفلسفات العصرية والنظم الانسانية ، لأن هذه الحقائق الدينية هي أساس للإسلام الدائم ، والأصل الذى منه البداية وإليه النهاية ، وإليها كانت دعوة الأنبياء ، وفي سبيلها كان جهادهم وجهودهم ، وبها نزلت الصحف السماوية .

الحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله والعبد والايان بالآخرة وأهميتها ، ويضعف في المسلم عاطفة امتثال أمر الله وطلب رضاه ، والايان والاحتساب والقرب عند الله تعالى ، وهذا التحول يفقد هذه الأمة شخصيتها وقوتها ، وقيمتها عند الله ، وكذلك الحذر من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية ، والشرك الجلى والعادات والعبادات الجاهلية ، والاكتفاء بمحاربة النظم والتشريعات والحكومات غير الاسلامية ، فإن ذلك يتجه بهذا الدين عن منهجه القديم السماوى إلى المنهج الجديد السياسى .

٣ - تقوية الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبي ﷺ والحب العميق له ، الذى يؤثر على النفس ، والأهل والولد ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، والايان به كخاتم الرسل ، وإمام الكل ، ومزير السبل ، والحذر من كل العوامل والمؤثرات التى تسبب تخفيف منابع هذا الحب ، وإضعافه على الأقل وتحدث جفافاً فى الشعور ، وضعفاً فى العمل بالسنة ، وتجرؤاً فى القول ، وانصرافاً عن الاقتدار به ، والولوع بدراسة سيرته ، وكل ما يحرك هذا الحب ويغذيه ولعل البلاد العربية (بفعل أحداث ، ودعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة ، وأحق بها من غيرها ، ففيها كانت البعثة المحمدية ، وفى لغتها نزل القرآن ونطق الرسول .

٤ - إعادة الثقة فى نفوس الطبقة المثقفة ، ومن بيدهم القيادة الفكرية والتربوية والاعلامية فى البلاد والحكومات الاسلامية بصلاحية الاسلام وقدرته ، لا على مسايرة العصر وتطوراته

وتحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشرى إلى الغاية المثلى ، وتجديف سفينة الحياة إلى بر السلام والسعادة ، وانقاذ المجتمع البشرى من الانهيار والانتحار الذى تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء ، وأنه ليس «بطارية» قد نفذت شحنتها ، أو ذبالة قد نفذ زيتها واحترقت واحترقت فئيلتها ، بل هو الرسالة العالمية الخالدة ، وسفينة النجاة التى هى كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها .

إن ضعف هذه الثقة ، أو فقداء هذه الطبقة المثقفة الناشئة فى أحضان الثقافة الغربية ، أو تحت ضغطها ، وهو المسئول عن كل تصرفاتها وسبب الردة الفكرية والحضارية ، والتشريعية التى تكتسح العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، وتعانى منه الشعوب المسلمة - التى لا تفهم إلا لغة الإيمان والقرآن ، ولا تتحمس إلا للإسلام - وسبب حلوث هذا الخليج العميق الواسع بين القيادات والحكومات والشعوب والجمهير ، وسبب القلق الذى يساور النفوس ، ويستهلك القوى والطاقات فى ما لا يعود على الأمة بفائدة .

٥ - قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب ، المنتشر السائد فى العالم الاسلامى ، رأساً على عقب ، وصوغه صوغاً اسلامياً جديداً ، يتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة ، وعقيدتها ، ورسالتها ، وقامتها ، وقيمتها ، لا يبعد هذا الصوغ عنه عناصر الاتحاد أو المادية ، وتصور هذا الكون تصوراً مادياً ، والعلوم وحدات متناثرة متناقضة ، والطبيعة حرة قاهرة ، والتاريخ حوادث غير مرتبطة خاضعة لقلق

وصراع دائمين ، ولا يصلح نظام التربية والتعليم اصلاحاً جزئياً فحسب ، بل يبتكر ابتكاراً جذرياً ، مهما استنفد من الطاقات ، وكلف من الوسائل والنبوغ والعبقريات ، وبغير ذلك لا يقوم العالم الاسلامى على قدميه وبراسه ، وعقله ، وإرادته وتفكيره ، ولا تدار الحكومات والأجهزة الإدارية ، والمرافق العامة برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين ، يطبقون التعاليم الاسلامية فى الحكومة والادارة ، والتربية والاعلام والمجتمع ، فتمثل الحياة الاسلامية بجمالها وكمالها ، وينشأ المجتمع الاسلامى بسماهاته وخصائصه .

٦- حركة علمية قوية دولية ، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الاسلام العلمية وتراثه المجيد ، وتنفع فى العلوم الاسلامية روحاً من جديد ، وتثبت على العالم المتمدن ، أن الفقه الاسلامى وقانونه من أرقى القوانين وأوسعها فى العالم ، وهو يقوم على أساس من المبادئ الخالدة التى لن تبلى ولن تفقد صلاحيتها فى يوم من الأيام ، وهى تصلح لمسيرة الحياة الإنسانية فى كل زمان ومكان ، وتغنيها عن كل قانون وضعته أيدى الناس .

٧- الحضارة عميقة الجذور فى أعماق النفس الإنسانية وفى مشاعر الأمة وأحاسيسها ، وتجريد أمة عن حضارتها الخاصة - التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، وكان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص وطابع هذه الأمة الخاص - مرادف لعزلها عن الحياة ، وتحديدتها فى إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيقة ، وفصل حاضرها

عن ماضيها ، فلا بد للحكومات الاسلامية والمجتمعات الاسلامية من التخطيط المدنى الاسلامى المستقل ، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى ، والارتجالية ، ومركب النقص ، ولا بد من تمثيل الحضارة الاسلامية فى عواصمها وفى دوائرها ، وفى بيوتها ، وفى مجتمعاتها ، وفى فنادقها ومنتزهاتها ، وإلى حد فى مكاتبها وطائراتها ، وسفاراتها ، وبذلك لا يعرض العالم الاسلامى نموذجاً للحياة الاسلامية والمثل الاسلامية فحسب ، بل يقوم بدعوة صامته للإسلام .

٨ - معاملة الحضارة الغربية - بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها - كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر ، وولاة الأمور فى العالم الاسلامى ، حضارة قوية عصرية ، مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى ، والرحمة والعدل فى جانب ، وعلى القوة والانتاج ، والرفاهية ، وحب الابتكار فى جانب آخر ، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم ، ويلاذهم ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب وشرق ، ويستغنون عن غيره ، ويعاملون الغرب كزميل وقرين ، إن كان فى حاجة إلى أن يتعلموا منه كثيراً فهو فى حاجة إلى أن يتعلم منهم كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منهم أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب .

٩ - إقناع الحكومات - فى بعض البلاد الاسلامية التى مثلت دوراً رائعاً فى تاريخ الدعوة والحضارة الاسلامى - المشغولة بحرب إبادة للعنصر الاسلامى ، أو عملية «تطوير للإسلام»

وتفسيره وفق مصالحها السياسية ، أو أهواء قادتها الشخصية ، بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي ، وإقناعها بتوجيه طاقاتها وامكانياتها إلى علو مشترك ، وإلى ما يقوى البلاد والأمة .

وإقناع الحكومات المسلمة - المسالمة للإسلام - بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتهئية الجو المناسب ، المساعد على ذلك ، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة ونصر من الله ، وسعى لتكوين قيادة موحدة تقوم على مبدأ الشورى الإسلامية ، والتعاون على البر والتقوى - والشعور بالتقصير على الأقل - بعدم وجود الامامة العامة ، أو الخلافة الإسلامية التي كلف بها المسلمون وسيحاسبون عليها .

١٠ - أما بالنسبة إلى البلاد غير الإسلامية ، فالقيام بالدعوة إلى الإسلام والتعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر ، أما البلاد التي فيها الأقليات المسلمة ، فالاهتمام بتمثيل الإسلام ، والحياة الإسلامية تمثيلاً يلفت إليه الأنظار ، ويستهيى القلوب ، والقيام بالقيادة الخلقية والروحية ، وقبول مسئولية إنقاذ البلاد والمجتمع من الانهيار الخلقى ، والخوان الروحى ، والتدهور الاجتماعى الذى تعرضت له هذه البلاد ، حكومة وشعباً ، حتى يتبها للإسلام أن يثبت جدارته وحاجة البلاد إليه ، ويتبها للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغى والقيادى فى هذه البلاد .

١١ - وأخيراً لا آخرأ هو ما تفرضه طبيعة الاسلام وتاريخه المجيد ،
وتقتضيه الفطرة السليمة ، ونفسية الإنسان الدائمة ،
والأوضاع السائدة ، هو وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية
قوية ، في العالم الإسلامى ، تقترن بصفات الرجولة
والطموح وعلو الهمة وبعد الور والقدرة على مواجهة الطاقات
الرئيسية القائدة التى تملك زمام قيادة البشرية وأصبحت
تتحكم فى مصائر الشعوب والأقطار الاسلامية وغير
الاسلامية - من غير حق ومبرر - وذلك بإيمان القائمين بهذه
الحركة والدعوة القوية ، وثقتهم بفضل الاسلام وحاجة
البشرية إليه .

ويقترن نشاط هذه الحركة أو الدعوة الاسلامية بروح
التضحية والبطولة والجلادة والتكشف والقدرة على المغامرات - إن
كان لا بد منها - فإن الناس مازالوا مفطورين على تقدير الإيمان
القوى ، والاعتزاز بالعقيدة والمبدأ ، والاستهانة بالمادة واللذة ،
والعزة ، وروح المخاطرة ، وعلى الاجلال لشيء لا يجدونه
عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوى والفقير مفطور على
احترام الغنى ، والأمى مفطور على احترام العالم ، حتى اللثيم مفطور
على احترام الكرم ، ولأن تاريخ الاسلام ملئ بالبطولات
والاقدام ، ولأن الواعين والمتبعين لواقع الأمم والبلاد ، وأصحاب
الضماير الخفية قد سئموا وضاقوا ذرعاً بسياسة الحكومات والقيادات
الغربية والشرقية وأصبحوا يمتقنونها ويكرهونها كرهاً شديداً .

إن وجود هذا الفراغ - عدم وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية
قوية ، ومجتمع قوى سليم من أدواء العصر الحديث والحضارة المادية

الراعة ، يقوم على تعاليم الاسلام وقيمه ومثله - خطر كبير على الوجود الاسلامى ، وعلى العقيدة الصحيحة والحياة الاسلامية ، فإن وجود الفراغ فى شىء ضرورى وفى مصلحة بشرية شىء غير طبيعى لا يصلح للبقاء طويلاً ، وقد يسبب ذلك نشوء حركة منحرفة زائفة ، فاسدة العقيدة والمنهج ، سلبية هادمة مدمرة ، ويعرف الدارسون لتاريخ الديانات والدعوات والحركات ، وللتاريخ العام ، أنه إذا وجدت هذه الحركة المنحرفة واقترن نشاطها ودعاؤها بالتضحيات والمغامرات ، وبالتكشف ومظاهر الزهد وهتافات التحدى للطاقات الكبيرة ومواجهتها لتهديداتها وأخطارها ، بشجاعة وصمود ، ونفدها للأوضاع الفاسدة السائدة فى بعض أجزاء العالم الاسلامى التى لا تتفق مع تعاليم الاسلام وقيمه ومثله - ولو كان فى ذلك نصيب كبير من الدعاية والمظاهرة ووسائل الاعلام الجبارة - كان له سحر على النفوس - خاصة فى أوساط المتعلمين وأنصاف المتعلمين ، المتألمين من الواقع المرير الذى تورطت فيه بعض المجتمعات الاسلامية - سحر لا يبطله وعظ واعظ ، أو مقال لكاتب ، أو استدلال منطقي أو بحث علمي ، يشهد بذلك تاريخ الخوارج فى القرن الاسلامى الأول ، وتاريخ الباطنية والفدائيين فى القرن السادس والسابع الهجريين ، وحكايات حسن بن الصباح وما كان يجرى فى مركزه قلعة «الموت» وتاريخ كثير من الحركات العسكرية الثورية التى ظهرت باسم قلب الأوضاع الفاسدة باسم الاسلام والاصلاح كذباً وزوراً أحياناً كثيرة ، وبعض الحركات والثورات المعاصرة التى استطاعت أن تجند ألوفاً من الشباب فى تحقيق مآربها السلبية وأهدافها الخطيرة ، يضحون بحياتهم فى سبيلها

متطوعين مندفعين ، وقد استرعت انتباه العالم واستجابت لها بعض
أوساط المعنيين باليقظة الإسلامية والحالمين لمجد الاسلام وعظمته ،
من غير أن ينقدوها نقداً بريئاً جريئاً في ضوء النصوص القرآنية
المنتحلة للإسلام .

ويعرف قادة المسلمين ومفكروهم ، أن السيل لا يمسكه إلا
سيل مثله ، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه ، وواقع العالم
الاسلامى - ومعذرة - اليوم فى الجمود والاستنامة والاخلاد إلى
الراحة ، وعدم وجود دعوة إيمانية قوية ، وروح التضحية والفداء
فى سبيل العقيدة الصحيحة ، والأهداف الصالحة ، وعدم
اكتفائهم العسكرى والفكرى ، نذير خطر دائماً ، ومهد الطريق
للولوع فى شبكة هذه الدعوات المنحرفة الزائفة التى يجد فيها شباب
المسلمين والمتدمرون من الأوضاع الحالية طلبتهم ومنشودهم ، وما
يرضى طموحهم ويزيل قلقهم ، وإن كان ذلك «كسراب بقية
يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه
حسابه»^(١) ولكنها نفسية الإنسان وتجربة الأمم ، والحقيقة الأليمة
التي يجب أن ينتبه لها كل معنى بحاضر الاسلام ومستقبله ، وسلامة
العقيدة وصحة التفكير ، والإيمان بالله ورسوله وتعاليمه .

وأختم هذا الحديث القصير بقوله تعالى الذى خاطب فيه
الجموعة الصغيرة من الأنصار والمهاجرين التى حثها على المؤاخاة
وربط بها مصير العالم والانسانية :

﴿إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٢) .

صدق الله العظيم .

(١) سورة النور آية ٣٩ . (٢) سورة الأنفال آية ٧٢ .

الفصل الثاني

الدعوة الإسلامية في الهند

كيف انتشر الاسلام في الهند^(١)

تأسست الدولة الاسلامية في الهند في القرن الخامس الهجرى واحتضنت العلم والدين ، وقصدها العلماء والاشراف من أقصى العالم الاسلامى ، وأوى إليها كل من نبأ به بلده أو ضاقت عليه أرضه ، واجتمع فيها آلاف من أهل الدين والعلم نرحوا من بلادهم في فتنه التتار ، وقصدها أهل الهمم العالية والنفوس الكبيرة من المجاهدين والدعاة ، بإشارات غيبية ومبشرات صادقة ، أو برغبة في الجهاد ونشر الدعوة الاسلامية ، فنشطوا في الجهاد والدعوة ، وانتشر الاسلام بسرعة غريبة بتأثير أخلاقهم الطيبة وشخصيتهم القوية ، وقد أسلم مئات آلاف من الوثنيين على يد الشيخ معين الدين الجشتى (م ٦٢٧هـ) في أجمير وما جاورها من البلدان ، وأسلم آلاف في بنجاب على يد الشيخ اسمعيل اللاهورى (م ٤٤٨هـ) والشيخ فريد الدين الأجدهنى (م ٦٦٤هـ) وأسلمت كشمير كلها على يد السيد على بن الشهاب الهمدانى (م ٧٨٦هـ) .

الدولة الروحية بجوار الدولة المادية :

ولما أصاب الدولة الاسلامية ما أصاب شقيقاتها في الشرق كله من الترف والبذخ ، وأصبحت لا تمثل من نواحي الحياة الاسلامية وواجبات الحكومة الاسلامية إلا الناحية المادية ، ولا تهتم إلا بحماية الأموال وتعيين العمال ، وارتفعت الحسبة ، وركبت الحكومات

(١) ألفت هذه المحاضرة في حفل تكريم أقامته جمعيات الشبان المسلمين في مصر سنة ١٣٧٠هـ ، ١٩٥١م احتفاءً بساحة المحاضر .

رأسها ، وطففت المادة ، أسس رجال الدين دولاً مستقلة في جنب
 هذه الحكومات ، كانت أعظم سلطاناً ، وأعمق نفوذاً من هذه
 الحكومات ، واستقلت هذه الدول الروحية بالناحية الروحية
 والخلقية ، وكان القائمون على هذه الدول يحكمون القلوب
 والأرواح ، وكثيراً ما شوهد أن الملك كان يحكم على البلاد كلها
 ويحكم عليه وعلى بلاطه وأزواجه وأولاده وبطانته رجل من
 الصالحين قد لا يجد قوت يومه وقد يكون دواب هذا الملك أشبع
 وأنعم عيشاً منه ، وقد شوهد في بعض الليالي المظلمة أن السلطان
 شمس الدين الأيلتمس (م ٦٣٣هـ) الذي دانت له البلاد كلها
 وخضع له ملوك الهند عن آخرهم يستفتح باب الشيخ قطب الدين
 يختار الكعكي لعله نام على طوى ويسلم عليه مملوك على ملك ثم لا
 يزال يغمز رجله ويكبس بدنه وينزف الدموع على قدميه حتى يسليه
 الشيخ ويبشره ويأمره بالانصراف ، وقد طلب علاء الدين محمد
 شاه الخلجي وهو من أعظم ملوك زمانه من الشيخ نظام الدين
 الدهلوي (م ٧٢٥هـ) أن يأذن له بالحضور فأبى ، وكان مع ذلك
 تأثيره في المجتمع الهندي الاسلامي وفي رجال الحكومة وحاشية
 الملك وهم القلوة في البلد عميقاً وواسعاً ، وقد أصبح الدين شعار
 الناس الذين لهم اتصال بالشيخ وعمرت المساجد وقلت المنكرات
 وفشت الأمانة والصدق والنصح في التجار ، وكثر التائبون
 والمقلعون عن المعاصي والذنوب وازدحم المبايعون على بابه ، إلى غير
 ذلك مما حكاه المؤرخ البرني في تاريخه وكان له ولخليفته الشيخ نصير
 الدين محمود الأودهي نوع إشراف ديني - على اعتزالها عن الدولة -
 على الحكومة الاسلامية وكان اختيار الملك الصالح فيروز تغلق وهو

من أفضل ملوك الهند وأرشدتهم للملك ومبايعة الناس بتوجيه الشيخ وترشيحه وكان قد وعده بالدعاء له لطول الحكم والتوفيق إذا قام بالعدل ونصر الاسلام ، وكان عهده من أزهر العهود الاسلامية وأنصرها في الهند .

صلة الملوك بالشيخ وإجلالهم لهم :

وكان الملوك يعتزون بدعاء هؤلاء الفقراء ويتفألون بكل ما ينطقون به ، فما حكاه المؤرخ الهندي محمد قاسم صاحب (تاريخ فرشته) أن السلطان اسكندر بن بهلول اللودهي (م ٩٢٣) كان في ناحية بعيدة عن دهلي فلما أخبر بوفاة أبيه وأنه يبيع بالأمانة قصد شيخاً صالحاً في ذلك البلد لم يعلم عن الحادث شيئاً ، وطلب منه أن يقرأ عليه العلم ، ورضى الشيخ بذلك ، وجاء الملك بكتاب «الميزان» وهو أول كتاب يدرس في علم الصرف وأوله «إعلم أسعدك الله في الدارين أن الكلمة ثلاثة أقسام» وطلب من الشيخ أن يقرأ فيتبرك بذلك ، فقرأ الشيخ «إعلم أسعدك الله في الدارين» وما عنده فكرة عن غرضه ، فاستعاده الملك ثلاث مرات والشيخ يردد قول المصنف «إعلم أسعدك الله في الدارين» . وبعد ذلك أطبق الملك الكتاب وقال : لقد نلت بغيتي فما كان قصدي التعلم وقد تعلمت ما فيه كفاية ، وإنما أردت أن يدعولي الشيخ بالسعادة في الدارين وقد كان ذلك ، فحسبي من هذا الدرس هذا الدعاء الذي أثق بأنه مستجاب إن شاء الله . وقد كان هذا فعلاً ، والحديث بالحديث يذكر فقد كان هذا الملك من أعظم سلاطين الهند ، وقد كان عهده من أزهر العهود الاسلامية ، ملكاً ودينياً وعلمياً ، وأمينها ، ومما

يستدل به على سعادته ورشده وسلامة قلبه وصلاحه أنه لما سار إلى
جونبور لاختاد الفتنة التي أحدثها أحد ملوك المسلمين دعا له بعض
العلماء بالنصر والفتح ، فتغير لونه وظهرت الكراهة في وجهه ،
فسئل عن ذلك فقال : إذا كان الفريقان من المسلمين فلا محل
للدعاء لفريق بالنصر والظفر ، فإن ذلك يستلزم انكسار الفريق
الثاني ووقوع المقتلة فيه ، وذلك مما يجب أن يحزن له المسلم ويمتنع
منه ، بل يجدر في ذلك المحل أن يدعى بالصلح والاتفاق ، ومما
يعرف به مقدار حفاوة الملوك بالعلماء والصالحين وإيثارهم على
أنفسهم أن الشيخ شهاب الدين الدولة آبادي صاحب تفسير
(البحر الموج) لما مرض واشتد به الوجع في جونفور قاعدة البلاد
الشرقية ، عاده السلطان إبراهيم الشرقى (م ٨٤٠هـ) ودعا عند
رأسه أن يكون فداء له فيموت ويعيش الشيخ زمناً طويلاً لأنه جال
وبركة زمانه .

سر خضوع الملوك للشيخ والدعاة وسيرتهم :

وهكذا كان رجال الدين وعباد الله الذين تجردوا عن الشهوات
وطلب الجاه والمال وزهدوا في ما عند الملوك فخضع لهم الملوك
وأتوهم صاغرين ورفضوا الدنيا فجاءت راغمة تخدمهم ، وكان
هؤلاء الشيخ يقومون على الدولة الروحية وإدارتها بنشاط وتيقظ
أعظم من نشاط الملوك وسرهم على مصالح بلادهم وإدارتها ، وقد
كان الواحد منهم يشرف على الحياة الدينية والحياة الخلقية في طول
الهند وعرضها ، ويرسل الدعاة وينصب المعلمين والمصلحين ، ويملاؤ
الثغور ويضبط الأطراف ويراقب سير الحكومة ويكافح المادية

الطاغية ويقاوم التيارات الجارفة .

فتنة أكبر والخطر الأكبر على الاسلام في الهند :

استمر الحال إلى فجر القرن الحادى عشر الهجرى ، وقد تولى عرش المملكة الاسلامية الهندية السلطان جلال الدين أكبر ، وهو ملك أمى لم يقرأ ولم يكتب ، وقد ولد ونشأ وأبوه همايون بن بابر فى حالة الفقر من مكان إلى مكان يطارده منافسه فى الملك شير شاه السورى ، فنشأ الولد - وارث الدولة التيمورية العظمى - مهملًا لم يتلق شيئًا من العلم والتربية ، ورزق عقلاً كبيراً وهمة وثابة ، وجلس على عرش أبيه وهو شاب فى مقتبل العمر وعنده رغبة جامحة فى الدراسة والبحث ، فجمع حوله عدداً كبيراً من العلماء والتف حوله علماء الدنيا بطبيعة الحال ، وكان مولعاً بمطارحة العلماء ومناظرتهم ، وطمع العلماء فى رفد الملك وصلاته وتنافسوا فى إرضائه وسروره ، كل يريد أن يستأثر به الملك ويحله فى نفسه المحل الأرفع ويطلق يديه فى المملكة والأموال ولم يكن عندهم شىء يثبتون به براعتهم وتفوقهم إلا هذا العلم الذى يحملونه والدين الذى يدينون به ، فأجروا خيلهم فى هذا الرهان ووضعوا علمهم فى الميدان ، وتناقروا كالدليكة ، هذا يغزل وذلك ينقض ، وهذا يثبت وذلك يرد ، والملك يستمع وينصت إلى مناظراتهم الدينية ومباحثاتهم العلمية وهو أمى لا يستطيع أن يحكم ويستقل بفكرته ، فنشأت عنده الشكوك وترعزعت العقيدة واضطرب فى الحقائق الدينية اضطراباً عظيماً وأصبح يشك فى الحقائق الدينية ، ثم رأى من أخلاق العلماء ومثلى الدين وحبهم للجهل ونهايتهم للمال

وتحاسدهم وتباغضهم ما أساء ظنه بالعلماء أولاً وهذا الدين الذى يمثلونه ثانياً ، فهذا رئيس القضاة يموت فيخرج من بيته لبنات من ذهب كان قد اكتنزها ، وهذا المحدث كان يؤكد لمنافسه ويدبر مؤامرة عليه ليسقطه وهينه ، إلى غير ذلك ، وكان الملك مرهف الخس قوى العاطفة ، سريع الحكم ، فحكم على هذه الجماعة بالفساد وأقصاها وأقصى معهم الدين .

بطانة سوء من العلماء :

ثم زاد الطين بلة أن حظى عنده أخوان من أسرة علمية كبيرة ومن كبار أذكاء العصر ونوابغ الوقت وهما أبو الفضل المؤرخ الأديب صاحب (آين أكبرى) وأبو الفيض فيضى من كبار شعراء الفارسية ومن المتضلعين فى العلوم العربية صاحب (سواطع الالهام) التفسير غير المنقوط فى اللغة العربية ، وكانا غريبى الأطوار فيهما شذوذ علمى وقد لقيا من علماء عصرهما من الازدراء وعدم الاحتفال ومن المجتمع من الانصراف والأعراض ما أثار فيهما روح الانتقام والغضب وحلا من نفس الملك محلاً لم يحله أحد لذكائهما الباهر وشعرهما الرقيق وأدبهما الرفيع ودراستهما الواسعة ، وكان أب الفيض أقربهما إلى الملك وألصق الناس به فسول للملك الدعوى بالاجتهاد المطلق وأنه صاحب دورة جديدة وأن عصر نبوة محمد ﷺ قد انتهى على هذا الألف وبدأ عهد إمامة السلطان أكبر فأعلن نسخ نبوة محمد ﷺ وانتهاءها وفتاحة عصر جديد للسلطان فيه الكلمة النافذة والأمر المطاع .

معاداة الاسلام :

ثم ظهرت له فكرة التقرب بين الأديان ليتفادى الخلاف بين الديانات وتجتمع الهند كلها تحت لواء واحد وعلى دين واحد ، فلفق الديانات وابتكر مزيجاً غريباً من الطقوس والعبادات والشعائر الدينية المختلفة . فكان يتعبد على طريق براهمة الهند ويتقلد الحيط علامة لهم ويولى وجهه إلى الشمس ، ويرطن بكلمات تقديس لها ، ولم يزل - بتأثير محيطه - يبتعد من الدين الاسلامي ويقرب ويمتزج بالبراهمة خاصة حتى نشأ عنده شبه عناد للدين الاسلامي وبغض له ولشارعه . فكان يسوؤه أن يسمى أحد في بلاطه ابنه محمداً ، وحرّم ذبح البقرة في طول الهند وعرضها ، وأباح الخمر والخنزير ، وأصبح الاسلام غريباً مطارداً في بلاد استمرت فيها الحكومة الاسلامية خمسة قرون في عهد رجل يتسمى بالاسلام وينحدر من سلالة مسلمة لها غيرة على الاسلام ، وهكذا اتجهت الهند كلها إلى الاباحية والفكر وكادت جهود القرون المتطاولة ودماء النفوس البريئة تضيق وتذهب سدى .

حاجة التجديد إلى عبقرى :

كان خطب الهند والاسلام أعظم من أن يقوم له الأقزام من رجال الدين والمتنسين إلى العلم ، فليست المسألة مسألة أفراد وجاعات ، أو مسألة بدع وخرافات ، إنما هي مسألة انحراف دولة من أعظم دول الأرض ، على رأسها رجل من أكبر ملوك العصر ، وحوله رجال من أعلم رجال الوقت ومن أذكاهم ، إنها خطة مدبرة ومؤامرة محكمة على الاسلام يبيتها أقوى الناس وأقدرهم ، إن

الانقلاب الدينى كان يطلب رجلاً عملاقاً فى العلم والشخصية وفى العقل والمواهب ، إنه كان يحتاج إلى عبقرى عظيم ومجدد كبير يتجرّد لمقاومة هذا التيار العنيف الجارف فيحوّله من جهة إلى جهة ويغير مجرى التاريخ .

الامام أحمد السرهندى :

إن لله فى دينه شئناً ، ومن شئونه أن يخلق لكل عصر ، رجلاً من رجال الاسلام ، ولكل غرض سهماً من السهام التى لا تطيش ، فإن الله قد تكفل بحفظ هذا الدين القويم والذكر الحكيم ، لقد وجد هذا المصلح فى شخص رجل يقال له (الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندى) تخرج فى علوم عصره كما تخرج أكبر عالم ، وبرع فيها ، وجمع إلى كفايته العلمية ودراسته المتقنة تربية الروح وتهذيب النفس والاخلاص لله ودوام الذكر وحضور القلب ، تخرج فى ذلك على شيخ كبير من شيوخ الطريقة النقشبندية الشيخ عبدالباقى البدخشى نزيل دهلى ، واستعان به أبو الفيض (الفيضى) فى ما التوى فى كتاب (سواطع الالهام) فرأى عنده القرينة الوقادة والعلم الحاضر ، وعرضت عليه المناصب فى الدولة فرفضها لأنه لم يخلق ليشارك فى إدارة هذه الدولة الجائرة إنما خلق ليقومها أو يكسرها - إذا لم يستطع أن يقومها - وينشئ منها دولة إسلامية جديدة .

رأى الشيخ أحمد اتجاه الدولة ومعاداتها للدين ومحاولة القضاء على الاسلام فى هذه البلاد ، فاهترت مشاعره ، وتكدر صفو حياته وطار نومه ، وملكت هذه الفكرة عليه شعوره وعقله ،

وأصبح لا يفكر إلا في إصلاح الحال ، والرجوع بالدولة إلى وضعها الاسلامى والمحافظة على مستقبل الاسلام فى هذا القطر العظيم .

الخطر فى الثورة العسكرية :

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ولا أمل فى انجاح الثورة ، فهو رجل فريد وحيد لا يملك إلا قلبه وقلمه ، ولا أمل فى الانقلاب العسكرى فالدولة شابة فتية لم يصيبها شىء من الهرم والضعف بل قد توسعت وتوطدت فأصبحت إمبراطورية عظيمة وهى الامبراطورية الثانية التى عرفتها الهند بعد امبراطورية أشوكا ، وقد كسب الامبراطور أكبر ود أمراء الهند وإقبالها بتوجهه فيهم وتقريبهم إلى نفسه ، فأصبحت دولة راسخة مشيدة البنيان موطدة الأركان ، لها وزراء من كبار راجبوت ، وجيش قوى من أقوى جيوش العالم وأحسنها تدريباً ونظاماً ومالية عظيمة ، فكيف يقاوم هذه الدولة المنظمة وكيف يؤدى رسالته ويقوم بمهمته ؟ إنها المهمة تنوء بالعصبة أولى القوة فكيف بفرد فقير يسكن فى قرية ... !

من أين يبدأ الإصلاح ؟

ولكن الشيخ أحمد صمم على أداء رسالته ، واهتدى فى تفكيره المخلص المجهد إلى نقطة مهمة وهى نقطة الفتح ، إن الملك قد أفسده المفسدون فثار على الدين وانحرف عن الجادة ، ولكن ليس هو الدولة كلها ، وليس هو الشعب كله ، وقد كتب عليه الموت ، وهو خاضع للسنن الألهية ، فيموت ويخلفه غيره ، فلا بد أن يؤدى رسالتي وأتصل ببلاطه وأركان دولته ، ولا موجب للحنوط

من الفطرة الانسانية فالصلاح فيها أصيل ، والفساد عليها طارى ،
فلأجرب ولأحاول . وإن الله ناصر من نصره ونخاذل من خذله .

الأسلوب الحكيم :

جرد الشيخ أولاً نفسه وفكره من كل أمل وطمع فى ما عند
هؤلاء من مال ونشب وعز وجاه ، وركز فكره على الاصلاح
والنصيحة حتى رأى أن ما عندهم من دنيا لا يساوى فى نفسه إلا
جيفة عليها كلاب ، ثم اتصل برجال البلاط الملكى وأركان الدولة
وتعرف إليهم ، فإذا هم يحلونه ويحلونه من نفوسهم محلاً لا يحلونه
المتملقين والمتزلفين ، ويعرفون أن هذا الرجل من طراز آخر غير
الطراز الذى جربوه ، ان هذا رجل قد تمرد على المادة ، وتمرد على
المجتمع ، وخرج من سلطان المطامع والشهوات ورأوا فيه من قوة
النفس والحرية ومعانى الإنسانية السامية ما لم يروه فى نفوسهم ،
ورأوا أنفسهم أقزاماً لا يتناولون إلى إنسانيته الرفيعة ورجولته
الشامخة ، فخضعوا له كما يخضع كل صغير للكبير ، وكل فقير
للغنى ، وتضاءلوا أمامه كما تتضاءل الكثران والرى أمام الطود
الشامخ والجبل الناطح للسحاب .

وهنا يقع بالسلطان أكبر حادث الموت ، ويخلفه ابنه جهان كير
وهو يحمل للشيخ من التقدير ما لم يكن يحمله هو . ولكن بلاطه لا
يخلو من يضمم للشيخ العدااء ويحسده ، فدبروا له المكيدة ، وزينوا
للملك أن يطلبه ويمتنحه ، وحضر الشيخ فعلاً ، وكان من العادات
المتبعة أن كل من يدخل على الملك يسجد له تحية ، فامتنع الشيخ
وحياه بتحية الاسلام ، فثار ثائر الملك وسجنه فى معتقل كواليار ،

ولبث في السجن بضع سنين ، يشتغل بالعبادة ويدعو المسجونين إلى الاسلام ، فأسلم على يده - كما جاء في دائرة المعارف الاسلامية - مئات من المسجونين .

ثم ظهرت للملك براءة الشيخ وعلو منزلته ، فأطلقه ودعاه وأكرم مثواه ، وقضى الشيخ شهر رمضان عند الملك والملك يصلى خلفه التراويح ويذاكره ويفيد منه في الدين ، حتى رسخت في قلبه محبته وعلت في عينه منزلته فرد الشيخ إلى وطنه مكرماً مبعجلاً .

التأثير في بلاط الملك ورجال دولته :

ونشط الشيخ في التأثير في بلاط الملك ورجال دولته وجيشه وراسلهم وراسلوه وباعه منهم كثير وأحبه أكثر ، وتأكدت الصداقة بينهم ، فكان الشيخ يكتب إليهم رسائل رقيقة مرفقة تأخذ بمجامع القلوب وتمز النفوس ، وهي من أبلغ الرسائل وأعظمها تأثيراً في القلوب ، يصور لهم غرابة الاسلام في بلاده فيبكي ويبكى ، يقول في رسالة : «واحزناه ، واحسرتاه ، وامصيتاه ، إن اتباع محمد ﷺ - وهو محبوب رب العالمين - غرباء مهانون في بلادهم وأعداؤه مكرمون ، إن الباطل بارز منصور ، وإن الحق مخنول مستور» .

ويقول في رسالة : «لقد أتى على الإنسان والمسلمين حين من الدهر في هذه الديار - يعنى به عهد الملك أكبر - إذا عمل مسلم بحكم شرعى يسجن ويعاقب ويهان ويعذب ، والديانات كلها حرة متمتعة بكل حق ، لقد شمت بالمسلمين الأعداء وسخروا منهم ، وأصبحوا هدفاً لكل تجريح وإهانة» .

ويستثيرهم رجال الدولة المسلمين ويستنهضهم لخدمة الاسلام وإقالته من عثاره ، فيكتب إلى خاتنخان - وهو قائد قواد الجيش والركن الأعظم للدولة - «إن ميدان البطولة الاسلامية لا يزال خالياً ينتظر فارساً من فرسان الاسلام ، فهل تسبق إلى هذه السعادة وتحرز قصب السبق وتنصر هذا الدين المظلوم ، وتغضب لهذا الحق المهضوم ، وتبلغ بجهدك إلى حيث لا يبلغه المتعبدون الصائمون ، فحيلاً يا أهل الغيرة والفتوة ويا أهل الشهامة والمروءة» .

وهكذا يكتب إلى خان أعظم أكبر الأمراء في عهد جهانكير والسيد فريد أحد الوزراء والمستشارين في الدولة ، وقد نفذ بروحانيته في قلوبهم وسيطر على عقولهم ، حتى كان يملئ عليهم الأحكام كما يملئ ملك البلاد ، فيمثلون أمره وينفذون رغباته ، ويوجه الدولة وهو قاعد في زاوته بسرهند توجيهاً دينياً بواسطة تلاميذه الروحانيين وخدمته المخلصين الذين يديرون دفة الحكومة .

سمع مرة أن الملك جهانكير يفكر في أن يجمع حوله جماعة من كبار العلماء الذين يشيرون عليه في أمر الدولة ، واستعان بوزارته أن يختاروا له هؤلاء العلماء ، فحذروهم الشيخ من سوء العاقبة والوقوع في ما وقع فيه الملك أكبر ، وتورطت بسببه الدولة الاسلامية في الالحاد والكفر . فقال : إياكم أن تجمعوا حول الملك علماء السوء المتنافسين ، ورجال المادة الطامعين ، وقطاع الطريق ولصوص الدين ، فيفسدون فكرة الملك ويضرون الدين من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ، ولكن اختاروا له صفوة من العلماء الذين تجردوا عن حب المال والجاه وخلصوا لدينهم أو اختاروا له رجلاً واحداً ممن يتقى الله ويخشاه من الراسخين في العلم .

يتغير اتجاه الدولة وترجع الهند إلى الاسلام :

وظل الشيخ مثابراً على دعوته إلى وفاته (سنة ١٠٣٤هـ) حتى تغير اتجاه الدولة وتغيرت سيرة الملك ونفسيته ، وأصبحت الدولة تتقدم كل يوم من حسن إلى أحسن ، فخلف جهان كير ابنه شاهجهان وكان له في الشيخ رأى جميل ومعه صلوات طيبة . هذا هو الملك الذى لما جلس على عرش الطاؤوس الذى كلفه ملايين من الجنيهات وكان تحفة فنية ، نزل عنه وخر لله ساجداً وقال : عجباً لفرعون جلس على عرش من الآبنوس فقال : أنا ربكم الأعلى ، وها أنا ذا أسجد لله شكراً وأقع له ساجداً مقراً بعبوديتى وضعفى وقدرته وكبرائه ، وبذلك تستدلون أيها السادة على تغير النفسية وتطور الدولة .

السلطان أورنگ زيب من غرس الامام السرهندى :

وخلف شاه جهان السلطان العظيم الملك الصالح أورنگ زيب عالم كير وهو ممن غنى أولاد المجدد بتربيته وثقافته ، فنشأ متعبداً متبعاً للشرعة فقيها في الدين غيوراً عليه ، حريصاً على تطبيق أحكامه وإصلاح المجتمع الفاسد وتقوم الحكومة الزائفة ، وكان الشيخ محمد معصوم ابن الشيخ أحمد السرهندى وخليفته مهتماً بتربيته ومستقبلة ، يخاطبه في رسائله «بناصر الدين ومعدل الشرعة» وقد طلب منه الأمير الشاب أن يرسل له من يريه التربية الروحية ، فأرسل إليه ابنه الشيخ سيف الدين السرهندى يعلمه ويفقهه في الدين حتى ظهرت فيه آثار الصلاح ، وبشر به الشيخ سيف الدين والده الشيخ محمد معصوم وأزال من قصره المنكرات .

مآثر أورنك زيب الاسلامية :

وأراد الله بالمسلمين في الهند خيراً إذ كان أورنك زيب خليفة أبيه شاه جهان في الامبراطورية المغولية ، فانتصر به الدين وعز المسلمون ، وهان الكفر ، وزالت المنكرات ، وبطلت المكوس الجائرة ، ووضعت الجزية على غير المسلمين ، وبذكر المؤرخون من استقامة أورنك زيب على الشريعة الاسلامية ومن عبادته وصلاحه ما يدهش رجال هذا العصر ، فقد حفظ القرآن بعد جلوسه على العرش ، وجمع أربعين حديثاً وشرحها ، وأمر بتدوين الفتاوى لتكون دستوراً للمملكة ، وألف له لجنة كبيرة من العلماء وكان يشرف على هذه اللجنة ويطلع على عملها يومياً ويقرأ قبل النوم كل ما كتب في هذا الموضوع ؛ وهي الفتاوى المشهورة (بالفتاوى الهندية) ويواظب على الجمع والجماعات ، ويلتزم صلاة الجمعة في جامع دهلي وإن كان بعيداً عنه ، ويصوم ثلاثة أيام في الأسبوع ويحج ليالى رمضان بالتراويح ويخرج زكاة ماله ، وكان شديد الانكار على المنكر ، شديد المحاربة للبدع والغناء والمزامير ، وكان مع هذا التدين أكبر الملوك الذين عرفتهم الهند ، وأوسعهم ملكاً وأعظمهم سلطاناً ، وأقدرهم على الادارة وأعلمهم بالسياسة ، وقد انقلبت به الحكومة المغولية من دولة ثائرة على الدين ثم دولة منحلة ، إلى دولة متمسكة بالدين محافظة عليه .

نجاح الامام السرهندي في مهمته وأهدافه :

وهكذا استطاع رجل وحيد بقوة إرادته وصدق عزمته ، وإيمانه القوى ومعرفته بقيمة نفسه ، واحتفاظه بقوته ، وإبائه من

أن ينفقها فيما لم تخلق له وما لا يعود على الاسلام بطائل ، وتجرده للدعوة ، وتركيزه جهوده كلها على إنهاض الاسلام من كبوته في هذه الديار ، لقد استطاع هذا الرجل بهذا التوفيق ، أن يحدث انقلاباً في الحكومة واتجاهها ، واستطاع أن يقضى على عقيدة وحدة الوجود التي تغلغت في أحشاء التصوف ، والأدب والشعر ، وعلى فكرة استقلال الطرق عن الشريعة ، وعلى كثير من العقائد والأفكار والعادات التي تسربت إلى المسلمين من الجاهليات المختلفة .

ضعف الحكم الاسلامى فى الهند :

ثم توالى على عرش الدولة التيمورية بعد أورنك زيب ملوك ضعاف من طراز الخلفاء العباسيين فى بغداد فى العهد الأخير لا يملكون من أمرهم شيئاً ، ينصبون ويعزلون كالأطمار البالية ، واضطرب حبل الدولة وكثرت الفتن والمصائب ، وهكذا لم تعد الدولة مركز الحياة ولم يبق لها السلطان والقدرة على توجيه البلاد - حيث إذا صلح الملك صلحت الدولة وصلحت البلاد كلها - فليس مركز الملك الجالس على عرش دهلى مركز القلب فى الجسم إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ، إنما هو صورة لا تنفع ولا تضر ، إذن فلا بد من العناية بالشعب مباشرة بدل الحكومة ، والعناية بإصلاحه وتربيته وتثقيفه الاسلامى .

الامام ولى الله الدهلوى :

هنا قام الشيخ أحمد بن عبدالرحيم الدهلوى (م ١١٧٦هـ) المشهور بالشيخ ولى الله ، وهو أحد حكماء الاسلام ونوابغه وكبار

المفكرين الاسلاميين . من طراز الامام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية . فلاحظ خمس نقط في حياة الشعب الهندي .

خطئه في الاصلاح :

- ١ - إن كثيراً من المسلمين قصروا في فهم (التوحيد الاسلامي) وأحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة والعادات الجاهلية . فلا بد من إبراز هذا (التوحيد) في نقائه ووضوحه وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الاسلام .
- ٢ - الشعب ليس له اتصال مباشر بالكتاب والسنة ، وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه بعلّة تعذر فهمه للعامة ، وخوف انحلال سلطتهم الروحية وسيادتهم العلمية ، فلم يترجموا ألفاظ القرآن إلى لغة البلاد ولم ينشروا كتب الحديث ، فلا بد إذن من نقل معاني القرآن وأحكامه إلى لغة البلاد ، والاقبال على كتب السنة وحديث رسول الله ﷺ .
- ٣ - ثقافة علماء الهند ضعيفة ضئيلة في العلوم الدينية ، وبضاعتهم مزجاة في الحديث خصوصاً ، فلا بد من نشر علم الحديث ، فدرس الصحاح والموطأ ، وأقبل الناس على دراسة هذه الكتب حتى أصبحت للهند مكانة مرموقة في العالم الاسلامي في خدمة الحديث بفضل جهود هذا البيت العظيم ومؤسسه .
- ٤ - لاحظ أن العالم الاسلامي سوف يستقبل عصراً عقلياً وثورة فكرية ، فلا بد من إيضاح الفكرة الاسلامية وجلائها ، وبيان

أسرار الدين وحكمه وأصول التشريع الاسلامى . ولا بد من شرح نظام الخلافة فى الاسلام . وأساليب الاسلام وأسسها فى تنظيم الحياة والمجتمع . فألف كتاباً لا تزال فريدة فى مكتبة الاسلام العامرة منها (حجة الله البالغة) و (إزالة الخفاء . فى خلافة الخلفاء) .

٥ - لاحظ أنه لا أمل فى نهضة الأسرة الملكية الهندية وتجديد شباب الدولة التيمورية . لأنه - كما قال ابن خلدون - «إذا نزل الهرم بدولة لا يرتفع» فلا فائدة فى بذل القوة لإصلاحها وتقويتها . ولا بد من إعداد جماعة تحدث انقلاباً إسلامياً وتؤسس دولة إسلامية جديدة على أساس دينى علمى جديد .

نجاحه فى عمله:

قام الشيخ ولى الله وأصحابه بمهمة هذا التجديد الاسلامى خير قيام ، فنشروا العلم الصحيح وأذاعوا مصادر الدين الأولى وألقوا كتاباً دسمة قوية مبتكرة تمهد العقول والنفوس لأحداث انقلاب إسلامى وإنشاء دولة إسلامية ، وخرج تلاميذ ورجالاً ، يقومون بهذه المهمة ، وقام بعده نجله الأكبر سراج الهند الشيخ عبدالعزيز الدهلوى (١٢٣٩هـ) فدرس وألف ، وخرج وخطف التلاميذ الكبار والعلماء الفحول ، نشروا علم الحديث وشمروا عن ساق الجد فى نصر الدين ومحاربة البدع ، والدعوة إلى الكتاب والسنة وتركبة النفوس ، حتى نفقت سوق الحديث وقامت دولة العلم ، واستعدت النفوس للنصر المؤزر للدين .

الامام أحمد بن عرفان الشهيد ورفقته وتأثيرهم في الحياة :

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري قام السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد الذي تخرج على الشيخ عبدالعزيز - ومعه الشيخ محمد اسماعيل بن عبدالغنى بن الشيخ ولي الله الدهلوى - فدعا الناس إلى الدين الخالص والتوحيد واتباع السنة ، وحارب الشرك والجاهلية والبدع مخاربة سافرة شديدة ، وبث في الشعب روحاً دينية قوية لم تعهد من قرون متطاولة ، ودعا الناس إلى الإيمان والاحسان والتقوى والجهاد في سبيل الله ، وقام بجولات واسعة في الهند تاب في خلالها ألوف من المسلمين ، وأقفرت الخانات وغصت المساجد ، وكسدت سوق البدع ، والتف حوله المخلصون والعلماء الربانيون وخرج للحج عام ١٢٣٦ هـ ومعه أكثر من سبعمائة رجل ، وتشرف بالبيعة والتوبة مئات ألوف من المسلمين في هذا السفر ، وكان الناس يقصده من كل صقع ويدخلون في الخير أفواجا ، حتى لم يحرم ذلك المرضى في المستشفيات ، وكان الناس يتساقطون عليه كالفراش ، وأسلم عدد كبير من الكفار ، وكان من تأثير مواعظه ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن وقفت تجارة الخمر في كلكتة - وهي كبرى مدن الهند ومركز الانجليز - وأقفرت الخانات واعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحكومة لكساد السوق وتعطل تجارة الخمر .

وبعد الرجوع من الحج نادى الامام وأصحابه بالهجرة والجهاد في سبيل الله ، فهان على المتصلين بهم بذل نفوسهم والهجرة من أوطانهم والتخلي عن أموالهم ، وتلقوا التربية الحربية ، ثم هاجروا مع إمامهم السيد أحمد ووزيره الشيخ إسماعيل إلى بلوچستان ومنها إلى

أفغانستان ، فحدود الهند الشمالية حيث حاربوا «السك» الذين كانوا قد احتلوا بنجاب وأذاقوا المسلمين سوء العذاب ، وهزمهم غير مرة وكذلك كل من وقف في سبيلهم من أمراء الأفغان وهم يريدون أن يوغلوا في الهند ويحلوا الانجليز ويؤسسوا دولة إسلامية تمتد من الهند إلى حدود أفغانستان ، وهكذا تتصل الدول الإسلامية بعضها ببعض حتى تكون سلسلة من حكومات إسلامية ، وأسسوا فعلاً دولة في الأرض التي فتحوها وتقع فيها مدينة «بشاور» ، وطبقوا نظام الاسلام المالى والادارى تطبيقاً دقيقاً ، وظهر منهم من تنفذ أحكام الشرع على أنفسهم وعلى غيرهم ومن الجمع بين العبادة والجهاد ، والأمانة والعدل والاستئانة بالحياة والعزوف عن الشهوات ، والرحمة بالمسلمين والشدّة على المخاريين من الكفار ما جدد ذكريات القرن الأول .

ولكن لم تشأ أهواء رؤساء القبائل الأفغانية ومصالحهم المالية أن تبقى هذه الحكومة التي تحكم بما أنزل الله وتفرض عليهم أحكام الاسلام المالية والقضائية ، فثاروا على عمالها وقتلوهم ركعاً وسجداً ، وهاجر بقية المجاهدين مع إمامهم إلى وادى «بالاكوت» في طريقهم إلى كشمير التي كانوا يريدون أن يتخذوها مركزاً لنشاطهم ، وهنا حصلت آخر معركة بينهم وبين جيش عظيم من «السك» الذى اهتدى إليهم بدلالة بعض المأجورين من المسلمين ودمهم ، وقتل الامام وكبار أصحابه ، وذلك سنة ١٢٤٦هـ واعتصمت البقية الباقية بالجبال ولم يزالوا قائمين على الحق ، مرابطين على الثغر ، مشمرين عن ساق الجدد ، إلى آخر ساعة ، جزاهم الله عن الاسلام خير الجزاء .

مدرستان للداعين إلى الكتاب والسنة والعاملين بالحديث :
ونشطت حركة نشر الحديث والدعوة إلى الكتاب والسنة ونبت
البدع والخرافات . بعد ما قام تلاميذ الامام ولي الله الدهلوى وأنجاله
وأحفاده بتدريس كتب الحديث ومحاربة البدع والعادات الجاهلية
المحلية ، وقام السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد والعلامة محمد
إسماعيل الشهيد بالدعوة إلى الدين الخالص ، والعقيدة الصحيحة
السنية ، والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح والقرون المشهود
لها بالخير ، ونشطت العقول وتحركت الهمم ، وكثر الدعاة إلى الدين
والمكافحون للفساد ، وكثر المعتنون بعلوم الكتاب والسنة ،
والمؤلفون في المقاصد الدينية ، في اللغة الأردية الشعبية في اسلوب
سهل واضح .

ونشأت من هذه الحركة التعليمية الدعوية مدرستان تتفقان على
الأساس وتختلفان في المنهج إحداهما مدرسة «صادق بور»^(١)
السلفية ، رائدها العلامة ولايت على العظيم آبادى من كبار خلفاء
السيد الشهيد وأحد العلماء الريانيين في الهند في العهد الأخير ،
وهي متشعبة بروح دعوة التجديد والجهاد التي قادها السيد الشهيد
والعلامة الشهيد ، وهي تتسم بالجمع بين الدعوة وروح الجهاد
والعمل بالحديث وتركيز النفس وعمارة الباطن ، على طريقة السيد
الشهيد والامام ولي الله الدهلوى والمجدد السرهندى .

والثانية مدرسة للعلامة السيد نذير حسين الدهلوى (المتوفى
١٣٢٠م) وهو تلميذ الشيخ محمد اسحاق بن أفضل الدهلوى سبط

(١) صادق بورجى من أحياء مدينة «بته» عاصمة ولاية بهار كانت مركزاً لأنصار السيد
الشهيد .

الشيخ عبد العزيز الدهلوى ، وقد اشتغل بتدريس الحديث الشريف مدة طويلة ، ورحل إليه العلماء والأساتذة من أقاصى البلاد ، وتخرج عليه علماء كبار ، درسوا وألقوا فى الحديث ، منهم العلامة شمس الحق الديانوى ومولانا محمد بشير السهسوانى ، والحافظ عبدالمنان الوزير آبادى ، والعالم الربانى السيد عبدالله الغزنوى الأمريترى ، وإبنه السيد عبدالجبار الغزنوى^(١) وآخرون كان شعارهم العمل بالحديث ، وعدم التقيد بالتقليد ، وتختلف درجاتهم وأساليبهم فى التمسك بهذا الشعار والدعوة إليه .

وينخرط فى هذا السلك المؤلف الكبير العلامة السيد صديق حسن القنوجى البهوالى المتوفى (١٣٠٧) وهو معاصر للسيد نذير حسين الدهلوى وتخرج على تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوى والشيخ محمد إسحاق بن أفضل ، وعلى علماء الهند المحدثين ، وقد خدم علوم السنة بالتأليف والنشر وبذل الأموال الطائلة واحتضان العلم والعلماء .

ثورة الهند ورد فعلها :

وفى سنة ١٨٥٧م ثار المسلمون ثورة عظيمة للتخلص من الانجليز ، ولكن اخفقت هذه الثورة وحلت الحكومة الانجليزية محل شركة الهند الشرقية فكان الأمر أشد . ودخلت الهند فى حكم بريطانيا المباشرة ، وكونت الامبراطورية الانجليزية . فتسرب اليأس إلى نفوس المسلمين وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم . وضعفت

(١) وكانا أقرب إلى مدرسته السيد الشهيد من زملائها الآخرين بالجمع بين العمل بالحديث والريانية الصافية والروحانية القوية .

روح المقاومة ، وهاجر كثير من العلماء ورجال الدين إلى الحجاز ، وأصبحوا يعتقدون أن الحكم الأجنبي في الهند ضربة لازب ، وانبث دعاة المسيحية والقسس في القرى والمدن يدعون إلى المسيحية علناً ويشنعون على العقيدة الاسلامية والشرعة المحمدية ، ويعلنون أن دولة الاسلام قد زالت وأن عهده قد انقضى ودخلت الهند في الحكم المسيحي ، فليتهياً المسلمون لاستقبال هذا الحكم وليقبلوا على دين الحكومة وطبقت الحكومة نظام التعليم المدني وهو يهدف إلى تخريج طراز من الناشئة لا يصلح إلا لإدارة جهاز الحكومة الانجليزية وتنفيذ برامجها ، وكثيراً ما كان أفراد الجيل الجديد ينسلخون عن الاسلام انسلاخاً كلياً ، ويثورون على الحضارة الاسلامية والديانة الاسلامية بتأثير التعليم والتربية في مدارس الحكومة التي كان يديرها الانجليز أو أشباه الانجليز ، وبسبب «مركب النقص» الذي أصيب به المسلمون في عصر الاحتلال ودهشة الفتح التي أصابهم ، فأصبح المسلمون في عقر دارهم يغزون سياسياً وثقافياً ودينياً وانقطع الأمل في كل ثورة وانقلاب عسكري .

معهد ديوبند وخدمته للدين :

ولم ير العلماء أمامهم طريقاً إلا فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية ، فأنشأوا هذه المعامل ليحفظوا ببقايا الحياة الاسلامية وليكافحوا تيار الغرب المدني والثقافي ، ويخرجوا منها دعاة الاسلام والوعاظ والمرشدين وعلماء الدين فليحفظوا على المسلمين دينهم ويعيدوا الثقة إلى نفوسهم ، فأسس مولانا محمد قاسم النانوتوى (م)

١٢٩٧هـ) (مدرسة ديوبند) سنة ١٢٨٣هـ ، وأسس مولانا سعادت علي (مدرسة مظاهر العلوم) في سبهارنפור في نفس ذلك العام ، ثم تواترت المدارس الدينية في أنحاء الهند ، وقد كان لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية ، وفي نشر الثقافة في طبقات الشعب ، ومحاربة البدع والخرافات ، وبث الروح الدينية في الجماهير ، وقد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً .

وكان لأحد أبناء دار العلوم ديوبند وهو الشيخ أشرف علي التهانوي (١٣٦٢هـ) سهم كبير في نشر العقيدة الصحيحة وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق والدعوة إلى الله . وقد عمل وحده عمل مجمع علمي كبير ، وألف كتباً ورسائل تربو على ثمانمائة ، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً وأثرت في المجتمع الهندي الاسلامي تأثيراً عظيماً .

سرنجاح هذه المدارس :

وسرنجاح هذه المدارس - كديوبند وشقيقتها - في أداء رسالتها ونشر الدين والعلم ، أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة ، وكانت قائمة على أساس الزهد والتضحية والجهاد ، فأثار ذلك فيها روح المقاومة والجهاد ، وقوة العمل والنشاط ، ثم إن أبناءها المتخرجين لم يكن لهم أمل - بطبيعة الحال - في وظائف الحكومة والرواتب الضخمة ، لأنهم تخرجوا من مدارس حرة لا صلة لها بالحكومة فألجأ ذلك أكثر المتخرجين إلى الانقطاع إلى الشعب دون الحكومة ، والتجرد للدعوة والخدمة دون المناصب والرواتب

وهكذا وجد دعاة متجردون محتسبون متطوعون يقنعون بالكفاف وينقطعون إلى الدعوة والرسالة ، فقاموا بأعمال إصلاحية لا تقوم بها أكبر دولة .

ندوة العلماء ومعهداها :

ولما رأى بعض العلماء أن الهوة قد اتسعت جداً بين التعليم المدني والتعليم الديني ، وحدثت بين المتخرجين من المدارس الدينية والمتخرجين من المدارس المدنية فجوة وجفوة تتسعان على مر الأيام حتى أصبح أولئك أمة وهؤلاء أمة . ولكل أمة لغة خاصة وثقافة خاصة ونفسية متميزة لا يفهما الآخر ، بل أصبح التعليم الديني في واد والعصر الحديث في واد ولا جسر بينهما وقد أصبح هذا العصر يطلب من العالم الديني ثقافة أوسع ، وأسلوباً للدعوة أرقى وأقرب إلى نفسية هذا العصر ، وإطلاعا على ما تجدد من العلوم والأفكار والمسائل والحاجات ، أنشأ القائمون على ندوة العلماء - وفي مقدمتهم مولانا محمد علي المونكيرى - مدرسة دار العلوم في لكهنؤ سنة ١٣١٦هـ ، ورسالتها الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، والتصلب في العقيدة والمبادئ ، والتوسع في الجزئيات والوسائل ، وقد خرجت علماء ومؤلفين كانوا ملتي الثقافتين وبرزخاً بين الطائفتين ، وقد ألفوا في السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى كتباً هي خير ما ألف إلى الآن للعجيل الجديد ، ولا يزال كتاب «سيرة النبي» في ستة مجلدات كبار للعلامة شبلى النعمانى (م ١٣٣٢هـ) وتلميذه الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى^(١) أعظم مؤلف في

(١) توفى رحمه الله في ١٣ من ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ (١٦ نوفمبر ١٩٥٣م) .

السيرة النبوية وتعليمات الاسلام لا يوجد له نظير في مكتبة الاسلام الحديثة ، ولا يزال لهذا المركز التعليمي نشاط وإنتاج .

حركة التبليغ وصاحب دعوتها مولانا محمد الياس :

واختصر وازين حديثي هذا بذكر دعوة وحركة دينية قوية كان لي شرف الاتصال بها عن كتب لا عن كتب ، وشرف التعرف بمؤسسها - وبالأصح داعيها - وقد صحبتته مدة ، ورافقته في السفر والحضر ، فهذا لون جديد من الحديث ، وأريد أن أحدثكم أولاً عن صاحب هذه الدعوة فإن الفكرة تتضح كثيراً بمعرفة صاحبها ، وهنا أكرر لكم ما تحدثت به من محطة الاذاعة الهندية في دهلي عن صاحب هذه الدعوة وتأثرى به ، وكان موضوع الحديث «رجال عرفتهم وأعجبت بهم» .

«في سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠) خرجت مع رفيقين أطلع مشاريع التعليم والتربية ومراكزهما في الهند ، وانتهت بي هذه الرحلة إلى دهلي ومنها إلى ميوات ، الرقعة التي هي مشهورة في التاريخ باللصوصية والسطارة والنهب والغارة ، حتى كانت أبواب سور مدينة دهلي تقفل من بعد الغروب خوفاً من هؤلاء اللصوص ، فسمعت أنها مجال كبير لاصلاح ديني خلقى جديد ، ولما زرتها وجدت انقلاباً مدهشاً في الأخلاق والنفوس ، تنقلت في القرى والأماكن ، وتتبع الأخبار ، فعلمت أن الناس الذين كان القتل عندهم أهون شيء ، وقد يقتلون الإنسان لأمر تافه ودرهم زائف ، صاروا الآن يحرسون الأموال والأعراض ويعفون عن المحارم ، رأيت فيهم إقبالاً على العلم وتواضعاً وحفاوة وضيافة ودمائة خلق وإيثاراً على النفس

وألفة ومودة لا توجدان في هذا العصر المادى ، وعزوفاً عن الشهوات وصبراً على المشاق وإيماناً وصلاًحاً ، وعلمت أن ألوفاً من الناس هناك تأثروا بهذا الاصلاح وانقلبت نفسيتهم إنقلاباً عجيباً . هنالك فحصدت عن منبع هذا الانقلاب فسمعت أن لا جمعية . ولا جامعة . ولا دعاية . ولا صحيفة ، ولا كتاب ، إنما هو رجل متواضع في دهلى ، قد بث الروح في هذه الأمة المنحطة وهذب النفوس ونشر الدين والعلم ، وحدا في الشوق إلى زيارته فجنث إلى دهلى فإذا هو رجل نحيف أسمر اللون ، قصير القامة ، كث اللحية تشف عيناه عن ذكاء مفرط وهمة عالية ، على وجهه محابيل الهم والتفكير والجهد الشديد ، ليس بمفوه ولا خطيب ، بل يتلهم في بعض الأحيان ويضيق صدره ولا ينطق لسانه ، ولكنه كله روح ونشاط وحماسة ويقين ، لا يسأم ولا يمل من العمل ولا يعتريه الفتور والكسل .

صحبت (مولانا محمد إلياس) مركز هذا النشاط الذى وصفته مدة طويلة ، ورافقته في السفر والحضر ، فرأيت نواحي من الحياة لم تنكشف لى من قبل ، فمن أغرب ما رأيت يقينه الذى استطعت به أن أفهم يقين الصحابة ، فكان يؤمن بما جاءت به الرسل إيماناً يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً كاختلاف الصورة والحقيقة ، وإيماناً بحقائق الاسلام أشد وأرسخ من إيماننا بالماديات والمحسوسات وبخواص الأشياء والأدوية ومضارها ومنافعها ويتجارب حياتنا ، فكان كل شىء صح في الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها ، وكأنه يرى الجنة والنار رأى عين .

ورأيت في حالة عجيبة من التألم والتوجع والقلق الدائم ، كأنه على حسك السعدان ، يتململ تململ السليم ، ويتنفس الصعداء لما يرى حوله من الغفلة عن مقصد الحياة ، وعن غاية هذا السفر العظيم وعن خالق هذا الكون ، ومن الاستهانة بقيمة الحياة وتضييعها في غير محل ، ولا أجد له مثلاً إلا كالذى يرى الحريق في بيت وقد أحاطت النيران بأولاده وأسرته ونفائسه ، فيصرخ ويضطرب ولا يقر له قرار ، وعرفت برؤيته معنى الحب ، وفهمت ما روى عن العشاق والمتميمين ومن استولى عليه الحب ، وصدقت ما نقل عن الأنبياء من الحزن والقلق والحرص على الهداية .

ثالثاً وأخيراً رأيت في هذا الجسم النحيل الذى كاد يعجز عن أن يحمل ثقله روحاً قوية جداً ، وقوة إرادة وقلب لم أجد مثلها في الشبان الأقوياء والأبطال الأشداء ، فكان يتحمل من المشاق ما ينوء بالعصبة أولى القوة ، وقد يظل في أسفاره أياماً متوالية لا يأكل فيها لشدة الاشتغال ويسهر ليلالى ، وأعجب ما رأيت أنه كان في مرضه الذى توفى فيه لا يستطيع القيام والوقوف ، ولكنه يأتى إلى الصف يتهدى بين رجلين ويقوم للصلاة ولا يستقل بنفسه ، فإذا كبر الامام تركه الرجلان وقام بنفسه كأنه غير الرجل ويقوم ويركع ويسجد من دون مساعدة ، حتى إذا سلم الامام خارت قوته وعاد ضعيفاً لا يستطيع النهوض ، وبقي هكذا شهوراً وما فاتته في مرضه صلاة إلى الليلة التى توفى فيها .

الدعوة ومبادئها :

هذا صاحب الدعوة ، وكلمة وجيزة عن الدعوة .

لقد رأى مولانا محمد إلياس ما أصاب المسلمين من التحلل والافلاس في الإيمان والروح والشعور الديني في هذه المدة وما أثرت فيهم الحكومة الانجليزية ، والحضارة الغربية والتعليم المذنى ، وغفلة الدعاة ، والاشتغال الزائد بالحياة ، والانهاك بالمادة حتى صارت المدارس الشرعية . والأوساط الدينية كجزر في بحر محيط ، وأصبحت تتأثر بمحيطها التأثير على الدين ولا تؤثر ، بضعفها وعزلتها عن الحياة ، فرأى أن التعليم وحده لا يكتفى ، والاعتزال لا يفيد ، والانزواء لا يصح ، ولا بد من الاتصال بطبقات الشعب ، ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار لأنها لا تشعر بمرضها وفقرها في الدين ، ويجب أن يبتدأ بغرس الإيمان في القلوب ومبادئ الاسلام ثم الأركان والعلم والذكر ، مع مراعاة الآداب التي تقوى هذه الدعوة وتحفظها من الفتن ، منها إكرام كل مسلم ، ومنها عدم الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي وترك ما لا يعنيه ، وقد دعا إلى هذا النظام بكل قوته ونفوذه ، ودعا إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة وبشأ في القرى والمدن ، وبدأ دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً وأبعدها عن الدين وأعظمها جهالة وضلالة ، وهى منطقة ميوات في جنوب دهلى عاصمة الهند ، ودعا الناس فيها إلى الانقطاع عن أشغالهم والخروج من أوطانهم لمدة محدودة قد تكون شهراً وقد تكون أكثر من ذلك ، وعرف أنهم لا يتعلمون الدين ولا يتغيرون في الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط الفاسد الذى يعيشون فيه ، وقد قبل دعوته مئات وألوف من هذه المنطقة ، وخرجوا شهوراً وقطعوا مسافات بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها ركباناً ومشاة ، فتغيرت أخلاقهم ، وتحسنت

أحوالهم ، واشتعلت عواطفهم الدينية ، وانتشرت الدعوة في الهند وباكستان من غير نفقات باهظة ومساعدات مالية ونظم إدارية ، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الاسلام ، وتذكر بالدعاة المخلصين المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الدعوة والجهاد متاعهم وزادهم وينفقون على أنفسهم ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين .

وقد توفى إلى رحمة الله تعالى في رجب عام ١٣٦٣هـ وخلفه نجله الشيخ محمد يوسف وقام بأعباء الدعوة خير قيام وفي عهده توسعت الحركة توسعاً كبيراً ، وانتشرت بعثاتها في العالم الاسلامي وفي الغرب ، ودعا إلى الإيمان وإثارة الروح على المادة ، والآخرة على الدنيا ، والاعتماد على الله وبذل الوسع والطاقة في سبيل الله ، دعوة قوية صريحة أثرت في ألوف من الناس فأصبحوا دعاة متطوعين ، ولا يزال مقره «نظام الدين» في دهلي مركز حياة دينية ودعوة إيمانية ، يؤمها الناس من جهات بعيدة^(١) .

جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية عامة :

هذا تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند باختصار وهذه مراحلها وأدوارها ووصفها الموجز ، وأنا أعتقد أن الدعوة في حاجة دائمة إلى التجديد والتفكير ، والتطبيق بين الاسلام الخالد والعصر المتغير ، واستعراض الشئون والمسائل وما يطرأ على الحياة والعقول من الضعف والقوة ، والجدة والتطور . وأن العصمة لله وحده وأنه لم

(١) توفى مولانا محمد يوسف إلى رحمة الله تعالى في ٢٩ ذو القعدة سنة ١٣٨٤هـ ، وخلفه الشيخ انعام الحسن الكاندهلوى حفظه الله ، والدعوة في تقدم واتساع .

ينحتم شيء مما أكرم الله به هذه الأمة إلا النبوة التي ختمت بمحمد ﷺ آخر الرسل وخاتم الأنبياء ، وأن كل ما ذكرنا نماذج ومثل للدعوة الإسلامية ، وأنماط لها وأساليب ، ومناهج وطرق يلهمها أصحاب النفوس الزكية في مختلف العصور والبلاد ، أو يؤثرونها في ضوء الكتاب والسنة .

جهود اصلاحية وتربوية أخرى :

وقام رواد الاصلاح ومحبو نهضة المسلمين وعزهم بتجارب كثيرة في مجال الدعوة الدينية ، والتعليم والتربية الاسلامية ، ونشر الفكرة الصحيحة ، ومكافحة الغرب الثقافي ، والغزو الفكري ، وإعادة الثقة إلى نفوس الشباب المتعلمين بالتعاليم الاسلامية ، والحضارة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامي ، وإزالة العقد النفسية والفكرية ، بأساليب مختلفة وطرق شتى - في ضوء تجاربهم ودراساتهم - تختلف في النتائج والآثار وفي ضيق النطاق واتساعه ، وفي مدى تقبل المسلمين لها وانتفاعهم بها ، يطول الحديث فيها ، وتقتصر هذه العجالة عنها ، وقد ألفت في التعريف بهذه الجهود والمنظمات وأهدافها ونتائجها ، رسائل وكتب في اللغة العربية . تحيل عليها ونشير على القارئ الذي يحب التوسع بمطالعتها .

وأنا أعتقد كذلك أن جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية عامة ، ليست ملكاً لبلد دون بلد ولا احتكاراً في شعب دون شعب ، بل هي بضاعة المخلصين في كل بلد ، وبراس المصلحين في كل عصر ، يحق لهم أن يقولوا كلما أهديت إليهم ونقلت عن بلاد إلى بلادهم : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » .

الفصل الثالث

دور الجامعات الإسلامية المطلوب
في تربية العلماء وتكوين الدعاة ، وحماية
الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة

دور الجامعات الاسلامية المطلوب

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين
وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان
ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

سادتى الأجلاء . وزملاى العاملين فى مجال التعليم والتربية ،
وإخوانى المعنين بخاضر الأمة الاسلامية ومستقبلها ، ورسالتها
وشخصيتها (١)

أنتهز هذه الفرصة الكريمة التى لا تسنح إلا بعد آجال طويلة ،
للتحدث فى موضوع أعتقد أنه بالنسبة إلى الأمة الاسلامية والعالم
الاسلامى . قضية حاسمة شديدة الحساسية والخطورة . وأؤمن
باخلاص وفى حماس أنه إذا لم يكن لهذا الالتقاء العلمى التعليمى
الاسلامى العالمى الكريم قيمة ونتيجة فيه ، كان إلتقاءً مباركاً حاسماً
يملى تاريخاً جديداً ، ويفتح عهداً سعيداً للأمة الاسلامية بإذن الله
تعالى . ويزيد هذا اللقاء قيمة ومكانة وجود عدد كبير أو أكبر عدد
متيسر- إذا لم أكن مبالغاً أو متفائلاً أكثر- من أصحاب
الاختصاص فى التعليم الاسلامى ، والأساتذة الكبار والمشرفين على
الجامعات الاسلامية وقادتها وموجهيها ، وبحق لى لذلك أن أخطب
نفسى بما قاله الشاعر العربى القديم وأنشد :

حماة جرعى حومة الجندل اسجعى

فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

(١) اعدت هذه المحاضرة المؤتمر تكوين الدعاة الذى انعقد فى القاهرة من ٢٠/٨ -

١٤٠٧/٨/٢٢ هـ .

الغاية الأولى والأساسية من التعليم :

أيها السادة ! وفقنى الله أن أقرأ كثيراً مما يتصل بالتعليم والتربية وغايتها المنشودة ، والفائدة التى يجب أن تجنى منها ، لكى أكتفى بهذه المناسبة بتقديم شهادة واحدة فيما يتعلق بتعريف العلم وتحديد غرضه لحبير تعليمى بريطانى معروف (Sir Percy Neinn) من مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية :

«لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتربية ، ولكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليها جميعاً : أن التربية هى الجهد الذى يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها ، إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ ، تلك القوى الروحية التى تتصل بنظرية الحياة ، وتربى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب ، وتمد يدها إلى الأمام»^(١) .

إن هذا التعريف بالتعليم والتربية هو أروع وأجمع وأكثر نواظماً مع العمل والتطبيق من بين جميع المحاولات التى بذلت فى سبيل التعريف بالتعليم والثقافة .

ما هى غاية التربية ؟ وماذا يراد من روائها ، لماذا تبدل المواهب الفنية على التعليم ، ولماذا تنفق قوى الأمة بسخاء وعلى طريقة منظمة ، ألكى يوجد التعليم فجوة بين الأمة وبين ما تعتز به وتبناه من معتقدات وأغراض ، وتراث حضارى وعلمى وتصورات ، سواء كان كل ذلك مما ينبغى الاعتزاز به أم لا ، لكن الشيء الذى

(١) دائرة المعارف البريطانية ، بند «التعليم»

(Education) The Encyclopedia Britannica.

نحبها ، والمعتقدات التي تعتر بها ، والتصورات والقيم والمثل والعقائد والأفكار التي تتغنى بها ، والتراث الذي توارثته من آباؤها وأسلافها ، من وظيفة التعليم الأولى أن يربط بين الأمة وبين هذه الأشياء ، وينقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة والنشء الجديد ، ذلك التراث الذي أفرغ عليه سلفها خير قواهم ومواهبهم ، وبذلوا مدة طويلة من وقتهم ، وربما قاتلت تلك الأمة في سبيله وحاربت وجاهدت وضحت بعزها وشرفها ومجدها التليد ، ومن الفضول أن نتعرض بهذه المناسبة لما إذا كانت القيم التي حاربت الأمة من أجلها قيماً صالحة أم لا ؟ لكن مسئولية التعليم أن ينقل هذا التراث إلى الأجيال المتلاحقة ، ولا يقتصر على النقل والتصدير فحسب ، بل يعمقه في القلوب والأذهان ، ويجعل القلوب والعقول تسيغه وتتذوقه ، ولا يعود نائياً لديها أو جنبياً عندها ، بل يعود مألوفاً لها ومحبوفاً عندها ويصير طبيعة لها .

أمة محمد ﷺ أمة ممتازة في خصائصها ومزاياها ، وصياغتها وعناصر تركيبها :

أرى أن هذا التعريف بالتربية بقلم خير بريطاني تعريف جامع جداً ، لكن إذا كان الأمر أمر أمة عقائدها وقيمها ليست من عند نفسها ، بل هي نابعة من الوحي الإلهي ، والكلام الإلهي ، والنبوة والرسالة ، والعلم اليقيني الغيبي الأزلي الذي لا يحول ولا يزول ولا يتغير قليلاً أو كثيراً ، فهناك تتضاعف المسئولية وتتضخم .

فإذا كان هناك تعليم يزعزع عقائد تلاميذه - من شعور أو من غير شعور ، عن قصد أو عن غير قصد ، عن خطأ أو عن خطة

مدبرة - ويزعزع جذور قيمهم في قلوبهم . ويفكك عراها ويمزقها
ويثير في قلوبهم شكوكاً وشبهات لا تزول . وصراعاً نفسياً ،
ويتجاوز هذا الصراع الافراد إلى الحياة الاجتماعية للأمة ، ويتحول
الصراع إلى حرب دامية شعواء بين تلك القيم والمفاهيم والتصورات
والمعتقدات . والأفكار والعقائد . وبين ذلك الجيل المثقف بذلك
التعليم وتلك الثقافة . فالأمر أدهى وأمر .

أيها السادة ! إني لا أؤمن بالاسلام كتراث (Legacy) ولا
أرى ذلك تعريفاً لائقاً بالإسلام : ولذلك فإني لست معجباً
بالكتب التي وضعت بعنوان : (Legacy of Islam) و
(Heritage of Islam) إني أرى الإسلام رسالة للحياة ، ولا أراه
قادراً على مسايرة الزمان فحسب ، بل أراه قائداً للزمان ، وموجهاً
له ، لا أراه مرافقاً للزمان في رحلة الحياة بل أراه مرافقاً للزمان
ومراقباً له ، فإذا كان هنالك مثقف بالتعليم العالي يقع فريسة الشك
والارتباك في جميع قيمه وتصوراته ومعتقداته ، أو يعود يراها دمي
يسلى بها الصبيان والأطفال ، أو اسطورة يتعلل بها السذج
والجهال ، أو يصبح لا يتحمس لها ، ولا يقاتل في سبيلها ولا
يدافع عنها ولا يغامر من أجلها إذا مست الحاجة إلى ذلك ، إذا
كان ذلك فإن هذا التعليم علو للدود لمن يحصله يجب أن يفر منه فرار
الإنسان من الأسد بل أكثر من ذلك .

قضية البلاد الاسلامية أهم وأكبر خطراً :

أيها السادة ! وحين أتحدث إليكم في هذا الحفل الكريم ، وفي

رحاب جامع الأزهر الشريف ، فإنى أخطب العالم الاسلامى كله ، إن الأمر يصبح ذا خطورة وحساسية وتعقيد إذا كان يتعلق ببلد إسلامى ، تعيش فيه أمة ذات شخصية ، وذات خصائص ومميزات ، ذات دعوة ورسالة ، ومكلفة بقيام دور فريد فى العالم البشرى ، تنبع معتقداتها وقيمها ومثلها ، وتصوراتها وأفكارها ، ووجهات نظرها من الوحي الالهى ، فإذا كان التعليم يحدث صراعاً فى مثل هذا الجيل ، ويجعله يخلع معتقداته وتصورات العريقة بعد ما يتخرج فى جامعة عصرية ، ويصبح وكأنه أمة جديدة أو أمة أجنبية تبدو نائية قلقة بين الشعب المسلم ويحصل من ذلك كله تعقيد جديد ، وتحدث مشكلة جديدة ويحدث صراع مرير - وقد يكون صراعاً دموياً - بين هذا الجيل المثقف وبين عائلته الاسلامية وآبائه وأمهاته ، وبين المجتمع الذى هو عضو فيه ، وبين تاريخه وتراثه ، وقيمته ومآثر أسلافه ، وبين منصبه ومكانته التى حباها الله إياه ، وبين رسالة الاسلام والعمل الاسلامى ، وآمال الأمة الاسلامية وأحلامها ، إذا كان كل ذلك فإنى لا أرى فى هذا التعليم خيراً ، ولا أراه خدمة للإنسانية ، بل إنه خيانة للأمة وجناية على الانسانية .

المسئولية الأولية للجامعات فى بلد إسلامى :

ومعذرة إليكم فإنى لا أشير إلى جامعة بعينها ، ولا إلى المسئولين عن جامعة محدودة ، وإنما أتعرض لأمر مبدئى وأريد أن أقرر أن المسئولية الأولى والأهم والأقدم للجامعة تقوم فى بلد إسلامى ، هى أن تؤكد إيمان الأمة بالعقائد والأفكار التى تؤمن بها ، والحضارة

التي تختصنها والدعوة والرسالة التي تنبأها ، والخصائص والمزايا التي تحملها ، حتى لا يعود هذا الإيمان إيمان رجل عادى أو إيمان رجل الشارع بل يكون إيمان عالم ، إيمان مثقف ، إيمان دارس ، ويطمئن عقله كما يطمئن قلبه ، ولا يعود كما يقول الدكتور محمد إقبال : « قلبه مؤمن وعقله كافر » ، مشيراً إلى فيلسوف غربي ... وإذا كان الصراع لا يجوز بين الفرد والجماعة ، فإنه كذلك لا يجوز بين القلب والعقل في حياة المرء الانفرادية ، فإذا كانت هناك جامعة تسبب هذا الصراع ، أو يسيبه منهاجها التعليمي ومنهاجها العلمي ، ونظامها الإداري ، وبيئتها العلمية ، فذلك شؤم بعده للبلد الذي تقوم فيه الجامعة .

لابد من اطمئنان القلب والعقل معاً :

إن الغاية الأساسية للجامعات الاسلامية ، أن توجد الإيمان بتلك الأشياء التي أشرت إليها ، الإيمان الذي يأتى عن طريق العلم والثقافة والدراسة ، وعن الشعور والتفكير ، وعن طريق اقتناع العقل ، وعن الدراسة المقارنة ، وإذا كان هناك رجل إنما يؤمن قلبه ولا يطمئن عقله ، وهو يعلل عقله ويسليه ، ويحاول أن لا يستيقظ عقله ، شأن الأمم غير المسلمة العديدة التي ترى بقاء دياناتها وريقها في عدم يقظة الشعور ، وتحاول أن يظل أتباعها سادرين في سبات الغفلة ، مسلوداً عليهم منفذ النور والهواء ، ومن هنا وقع بين « الكنيسة » و « العلم » ذلك الصراع الدموى الذي تقرأون قصته المؤلمة المفجعة في كتاب « الصراع بين الدين والعلم » (Conflict Between) Religion & Science للعالم الأمريكي المعروف

«دراير» (Johan William Draper) وإنما وقع هذا الصراع لأن الكنيسة كانت ترى أن الخير كل الخير في تبلد الشعور الإنساني بل كانت تعمل فعلاً على تجميده وإماتته ، وكانت تؤمن بأن من الخير والسعادة أن يكون الإنسان محدود العلم قاصر المعرفة ، بل عديم العلم جاهلاً ، ومادام الحال على هذا المنوال ، كان الإيمان بالكتاب المقدس راسخاً قوياً ، وكانت المسيحية عميقة الجذور ، بعيدة الغور في المجتمع ، ذلك أن العهد العتيق كان يشتمل على كثير مما لا يؤيده العلم الحديث ، بل ينفيه ويفنده ، فكانت الكنيسة رأت من المصلحة أن لا يتيقظ شعور المسيحي ، ولا يتفتح وعيه ولا يتسع أفقه ولا يتقدم العلم ، فحاولت أن تقف في وجه العلم لأنها ظنته عدواً لها لدوداً ، وخصماً محارباً حانقاً ، فأنشأت محاكم التفتيش الديني العقائدي - (Courts of inquisition) وانتشرت في ربوع العالم المسيحي وعواصمه ومراكزه ، ومنحت الحرية المطلقة في محاكمة أصحاب النظريات العلمية والاكتشافات في عالم الطبيعة والفلك والعلوم الطبيعية ، وإجراء العقوبات القاسية الوحشية على معتنقيها ومعلميها ، وقد أثبت بعض المؤرخين أن ضحايا هذه المحاكم يربو عددها على عدد المصابين والقتلى في الحرب الكونية الأولى⁽¹⁾ ، وقد جرّ هذا الحجر العلمي والفكري وفرض إطار خاص ودائرة محدودة من الدراسات وكتب المطالعة على الشباب والدارسين ضرراً كبيراً على مستقبل الدين وعقلية

(1) John Davenport Apology for Muhammad & The Quran'

الجيل الصاعد . وأحدث حركة رد فعل عنيفة ضد هذا الاحتكار العلمى والاستبداد الدينى والنظر الضيق المترم .

درس من تجارب الماضى :

وقد أثبت علم التربية وعلم النفس أن الحجر على الشباب فى القراءة والاطلاع ، كالحجر على الأطفال القاصرين الذين لم يبلغوا سن الرشد ، تجربة مخففة وعملية مثيرة فىهم التساؤلات والشكوك ، والنهامة بالممنوع المحظور ، وأن هذا الصنف من الدارسين غير جدير بالثقة فى مواجهة الأفكار الغربية والتحديات العلمية والعقائدية . إن المنهج التربوى المتزن السليم هو الاطلاع على وجهات النظر والمدارس الفكرية المختلفة مرفقاً ذلك بتوجيه الأساتذة الراسخين فى العلم والدين . مع مناقشتها وعرضها على المحك العلمى والدينى وتقرير الصحيح وتزيف الزائف . وذلك مما يتفق عليه خبراء التربية وأصحاب التجربة والاختصاص فى علم النفس وعلم الاجتماع . يقول أ . وهنرى جريسولد A. Whitney Griswald فى كتابه

مقالات حول التعليم : Essays on Education

«كانت عاقبة الرقابة والتعذيب . الفشل دائماً فى التاريخ ، إن أقوى سلاح وأنفذه لمكافحة الأفكار السيئة ، هو سلاح الأفكار الطيبة ، ولا تتبع الأفكار الطيبة إلا من منبع الحكمة ، وليس هناك طريق أضمن لحصول الحكمة إلا طريق التعليم الحر الذى لا عنف فيه» .

ويقول ثيودر شرويدر Theodope Schuoeder فى كتابه «العبودية

العقلية» Intellectual Slavery :

«تساعد الرقابة على الاحتفاظ بمختلف أشكال الظلم ووقايتها ،
وننخدع بهذه الوسائل ونحسبها ضماناً لحررتنا وديمقراطيتنا ، لكنها
تحرمنا الفراسة التي نحتاج إليها في الطريق الطبيعي للنمو الاجتماعي
وعادة يجهل هذا الجهل الثورات أكثر دموية» .

واضطرت المسيحية أخيراً أن تضع السلاح أمام مد العلم وسيله
الجارف ، وتباره العنيف ، لأنه حاجة الإنسانية ، ومقتضاها
الطبيعي ، وعاطفة الإنسان الداخلية ونعمة الله الغالية ، وضرورة
العالم البشرى . جعله الله لكي ينحصر وينمو ويورق ويشمر ، لا لكي
يذوى ويذبل ويموت ، وهل تموت الحقائق ؟ على كل فإن العلم
كسب المعركة وذاقت الكنيسة هزيمة وعاراً وشناراً منقطع النظر
أمام العلم وتطلع الإنسان إليه وطلبه الجامح له .

تلك هي الكارثة المشؤمة التي وقعت في العالم المسيحي ،
ولكنها تركت آثارها على دنيا البشر كلها وعلى جميع الديانات
تقريباً ، وقد جعلت الناس يفهمون أنه لا يمكن أن يتقدم العلم
والعقل معاً وأن يساير الدين العلم ، ولا بد هنا بصفتي دارساً
للتاريخ أن اعترف - مع الأسف - أن هذا التصور الخاطئ قد نال
بعض نصيبه من المفعول في بعض الدول الاسلامية ولو لبعض
الحين ، لكنه ما لبث أن لقي حتفه ، لأنه يتنافى مع روح الاسلام
وطبيعته ولم يدم هذا الصراع المصطنع في العالم الاسلامي ، وإنما
كان قد نشأ عن طريق أوروبا المسيحية ، ولكنه غاب وانقشع
كسحابة صيف ، أو بسرعة أكثر منها .

مصير العلم مرتبط بالقلم :

أرى أن من واجبات الجامعات الإسلامية أن تحاول أن لا تقع فجوة بين العلم والدين كما وقعت بينها في العالم المسيحي ، أو في دنيا الديانات التي لم تكن فيها رابطة بين العلم والعقل ، بل إن نشوءها كان مديناً للجهل ، فقد تولدت وازدهرت بمعزل عن العلم والعقل بل على غفلة من العلم والعقل ، ففيها مجال لنشوء الفجوة بين العلم والدين وبين العلم والعقل ، ولكن لا يتصور ذلك في الدين الذي أعلن دعوته منذ اليوم الأول بل منذ اللحظة الأولى بما يلي :

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (١) .

الدين الذي لم ينس هذا القلم المتواضع حتى في الحلقة الأولى من وحيه ، ولم ينسه لدى هبوب النفحة الأولى من النفحات الربانية ، لم ينس أن يؤكد أن مصير العلم مرتبط بالقلم ، لم ينسه في خلوة غار حراء التي ارتادها نبي أمي يتلقى الرسالة الإلهية لهداية البشرية ، ذلك النبي الذي لا عهد له بالقلم ولم يعرف من ذي قبل كيف يحرك القلم ، ولم يتعلم فن الكتابة والقراءة بتاتا ، شيء لن يجد الإنسان نظيره في تاريخ العالم البشري ، ولا يمكنه أن يتصور هذا المكان العالی ، لا يمكنه أن يتصور أن ينزل وحي على نبي أمي بين أمة أمية في منطقة لم تعرف القراءة والكتابة معرفة تذكر ، فضلا عن المدارس والمعاهد ودور التعليم والجامعات ، في الوقت الذي لأول مرة تم فيه اتصال السماء بالأرض بعد قرون ، ولا يبتدىء

(١) سورة العلق الآية ١ - ٥ .

هذا الوحي بكلمة «أعبد» ولا بكلمة «صل» أو ما إليها من الكلمات المتجانسة . وإنما يتبدى بكلمة «اقرأ» يخاطب المنزل عليه بالقراءة ولا عهد له بها . لكي يقرر ويؤكد له أن الأمة التي يكلف بهدايتها وتربيتها وتعليمها هي أمة ليست ولوعاً بالعلم فحسب . بل ستكون معلمة العالم مولعة بنشره وتصعيده وترقيته . والعهد الذي تقوم فيه بوظيفة الهداية والتبليغ والتربية والتعلم . إنه ليس عهد الأمية والوحشة والجهل . وعهد الظلمة والهدم والتخريب . وإنما هو عهد العلم والعقل والتفكير . وعهد النظر والحكمة . وعهد البناء والتعمير . وعهد حب الإنسانية ، وعهد الرق والتقدم .

كانت التجربة الفريدة الطريفة - لو صح التعبير - في تاريخ الديانات وتاريخ العالم أن الوحي الأول الذي نزل على النبي الأمي بين الأمة الأمية كانت بدايته بكلمة «اقرأ» : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ كان من الخطأ القادح أن انقطعت صلة العلم بالرب ، فحاد عن الصراط المستقيم ، فجاء الوحي الالهي الذي نزل على النبي الأمي يصله بالله ويربطه بالرب تبارك وتعالى ، حيث جاء ذكر العلم مقروناً باسم الرب ، لكي يعلم البشر ضرورة بداية العلم والتعليم والقراءة باسم الرب الذي وهب النعمة الغالية ومن بها على عباده وهو الذي خلقه ، فلا يتقدم تقدماً مترناً إلا تحت توجيهه وهدايته ، إن الآية التي نتحدث عنها ، إنها ذات ثورة وانقلاب عظيم في التفكير والعقلية والنفسية ، قرعت الآذان البشرية في بداية الإسلام ، وكان ذلك شيئاً لم يخطر من أحد على بال ولم يتصوره في حال من الأحوال ، لو سئل الأدباء والحكماء والفلاسفة والعلماء في العالم البشري عن مفتاح هذا الوحي الذي سينزل على النبي الأمي ،

لم يكن أحد منهم - يعرف طبيعة تلك الأمة التي نزل فيها الوحي ويعرف عقليته - ليقول إنه سيبتدىء بكلمة «اقرأ» كان لهم أن يتنبأوا بكل شيء ، ولكن لم يكن لهم ليتكهنوا أن الوحي سيكون استهلاله بكلمة «اقرأ» ، ثم إنه لم يبتدىء بكلمة «العلم» وإنما بالقراءة ، والقراءة تتضمن الكتابة والقلم والورق ، بينما العلم قد يكون وهيباً لا يحتاج إلى القلم والقراءة والكتابة والورق ، مما دل على أن هذا العلم سيكون وليد القلم ، وليد الورق ، وليد الكتابة ، وليد المكتبات والكتب والمؤلفات والصحف ، وليد التجارب وليد الذكاء :

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ .

هذا الدين لن يفارق العلم :

مما يجب الانتباه له أن الوحي الالهي أكد أن طبيعة هذا الدين أنه لن يفارق العلم ، لأن الرسالة الأولى التي وجهته إلى البشرية تأمر بالقراءة ، فكيف يسوغ أن يبقى المسلمون جاهلين لا يعرفون القراءة ، والمسلم الذي قطع صلته عن العلم ليس بمسلم حقيقى ، ولا يجوز له أن يدعى أنه يمثل صحيح للإسلام ، ثم يجب الانتباه لهذه الدعوة الثورية : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ كيف ينبه الوحي الالهي على أن تكون هذه الرحلة - رحلة العلم - فى هداية هاد كامل ، وليس هو إلا الله العليم الكريم ، لأن الرحلة طويلة شاقة ، معقدة خطيرة ، والطريق وعرة ذات منعطفات تعترضها بحار وأنهار ذات عمق سحيق ، وتدخلها غابات كثيفة فيها سباع مخوفة ، وحيات وعقارب سامة وكل حيوان ضار .

لكنه ليس مجرد علم ، ليس عبارة عن معرفة بالدمى واللعب ، وليس عبارة عن التسلية ، وليس مما يحرش فيما بين الإنسان

والإنسان والأمة والأمة ، وليس عبارة عن معرفة طرق ملء
البطون ، وعبارة عن تحريك اللسان ولوك الكلمات بل هو : ﴿اقرأ
باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك
الأكرم الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ .
فهل رفع من قيمة القلم أحد فى التاريخ البشرى أكثر من ذلك ؟
حيث يذكر بهذه الأهمية ، وبهذا التمهيد الكريم ، فى خلوة غار
حراء ، وفى الوحي الأول الذى ينزل من السماء ، ذلك القلم الذى
ربما لم يكن بالامكان تواجده فى بيت من بيوت مكة ، لا أكاد
أدرى لئن رحمت تبحثون عنه رجعت بفائدة أم لا ، ربما وجدتموه فى
بيت ورقة بن نوفل ، أو أى رجل تعلم الكتابة فى ديار العجم ،
القلم الذى ربما لا تجدون ذكره فى دواوين الشعراء العرب الجاهليين
المعاصرين مهما قلبتم الصفحات وأعدتم القراءة .

عصارة كل علم وثقافة :

﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ :

ثم دل على حقيقة خالدة ذات انقلاب عظيم ، وهى أن العلم لا
حد له ولا نهاية ، فقال : ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ ، وليس العلم
الحديث (SCIENCE) إلا إنعكاساً لـ ﴿علم الإنسان ما لم
يعلم﴾ ، وكذلك التكنولوجيا ليس إلا مظهراً لـ ﴿علم الإنسان ما لم
يعلم﴾ ، وينزل الإنسان على القمر ، ولا يعنى ذلك إلا ﴿علم
الإنسان ما لم يعلم﴾ ويغزو الفضاء ، ويطوى أرجاء طياً ، ويسخر
أشعة الشمس ويشق طريقه بين النجوم والكواكب ويحلم بالتزول
بين السماكين ، إن كل ذلك ليس إلا عبارة عن ﴿علم الإنسان ما لم
يعلم﴾ .

على كل فإن الأمة التي كان أساسها الأول على القراءة ،
 وخاطبها الوحي الإلهي الأول بذكر القلم ، إن تلك الأمة لن تفارق
 العلم والمعرفة ، لأنها تلازمه ملازمة الظل أو ملازمة الغريم .
 ثم يجب أن يكون في الاعتبار لدى إنشاء كل مدرسة أو جامعة
 أو اتخاذ منهج تعليمي لتعليم هذه الأمة ، أن يكون الهدف من كل
 ذلك ترسيخ الإيمان بالعقائد والحقائق التي آمنت بها من ذى قبل ،
 وأن يتأتى هذا الترسيع عن طريق القلب والعقل معاً ، ولا يكتفى
 اطمئنان القلب أو العقل فقط ، لأنه حينئذ سيحدث صراع بينهما
 في الحياة الفردية للإنسان ، وسيترجم هذا الصراع إلى الحياة
 الجماعية .. وعلى ذلك فيخرج جيل يتصارع مع مجتمعه ، ويتصارع
 مع دينه وعقيدته ، وتضيق كل القوى في إزالة «الأنقاض» فقد رأى
 بعض قادة بعض الشعوب والبلاد الإسلامية أنه يجب أولاً إزالة
 الأنقاض ، وركزوا كل عنايتهم على إزالة الأنقاض من العقائد
 والحقائق ، واستنفذت هذه العملية كل قواهم ، واستغرقت فرصة
 أعمارهم ، ولم يتمكنوا من عرض دعوتهم ونشر رسالتهم ، وزرع
 أفكارهم التي كانوا بصدد نشرها .

فإذا كان هناك منهاج تعليمي يعمق إيمان الأمة بالعقائد
 والحقائق التي تحتضنها فهو منهاج موفق ، ولا سيما بالنسبة إلى
 الإنسان المسلم الذي جاء يحمل رسالة ويحتضن دعوة ، فيجب أن
 يكون منهاجنا التعليمي والثقافي بحيث يرسخ الإيمان في قلب المثقف
 وقلب الدارس وقلب الطالب الجامعي ، وقلب الفيلسوف وقلب
 المفكر ، ويجعلهم جميعاً توفّر لهم عقولهم دلائل لذلك ،
 ويستخدمون الثروة العملية القديمة والجديدة المنتشرة على ظهر

البسيطة في تحقيق هذا الغرض الأكبر لتقرير هذه الدعوى الكريمة .
أيها السادة ! إذا استطاعت جامعة أن تصنع ذلك فهي
الجامعة التي تستحق أن تسمى جامعة إسلامية ، وأعتقد أن ذلك
خير تعريف لها .

حماية الدين من التحريف والمسلمين من الانحراف :

وعلى حملة علوم الدين وأصحاب الرسوخ والاختصاص فيها
من المتخرجين في الجامعات الإسلامية والمدارس الدينية ، وعلى
الدعاة ، عهدة صيانة الاسلام عن التحريف والمسلمين عن
الانحراف ، والحفاظ على الدين ، والذب عن حوزته ، ويحتاجون
من أجل القيام بذلك إلى الصفات الدقيقة السامية المثالية ، والقوة
الروحية الداخلية ، والثقة بخلود الدين ، والغيرة عليه ، والقدرة
على التمييز الدقيق بين الجاهلية والاسلام والإشراك والتوحيد والسنة
والبدعة ، والامتنياز بالاشتغال بالحديث الشريف^(١) ، ومطالعة
تاريخ المصلحين المجددين للدين في عصور مختلفة^(٢) إلى ما لا يحتاج
إليه بطبيعة الحال من يستعمله الله في نشر دين من الأديان ،
ولذلك فإن هذا الواجب وضع على عاتق العلماء ، ونائبى الرسول

(١) والتفصيل في رسالتنا : « دور الحديث في تكوين المناخ الاسلامى وخصائته » ،
فليراجع ، طبع المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء الكهنؤ- الهند .

(٢) ليرجع إلى سلسلة « رجال الفكر والدعوة في الاسلام » طبع دار القلم الكويت ١ -
٤ .

ﷺ ، وخص به العلماء الربانيون المتفقهون في الدين الغياري عليه
المميزون بين الاسلام والجاهلية - بجميع أنواعها وألوانها - المطلعون
على تاريخ الديانات والصحف التي تعرضت لتحريفات المخرفين
وأغراض المغرضين ، وقد جاء في حديث صحيح : «يحمل هذا
العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال
المبطلين ، وتأويل الجاهلين» (٣) .

وما كانت لتجرى هذه الكلمات العميقة المعاني ، والدقيقة
الدلالات إلا على لسان نبي مرسل مصدوق ، فلو قرأتم تاريخ
الاصلاح والتجديد في الإسلام ، والمساعي والمجهودات التي قام بها
العلماء والأئمة ، والقائمون بحفظ الدين لوجدتم جميع الجهود
المبذولة في سبيل الحفاظ على الدين تأتي تحت هذه العناوين
الثلاثة ، إن للكلمات أعماقاً وآفاقاً هي أوسع وأعمق مما تبلغ إليه
فهوم الرجال وتحد بحدود النماذج والأمثال .

ومن واجبات العاملين في مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة
الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف ، وإخضاعها
للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية
التي نشأت في أجواء خاصة ، وبيئات مختلفة ، ولها خلفيات
وعوامل وتاريخ ، وهي خاضعة دائماً للتطور والتغير فيجب أن نغار
على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على
المقدسات وعلى الأعراض الكرامات ، بل أكثر منها وأشد ، لأنها
حصون الاسلام المنيعه وحماه وشعائره ، وإخضاعها للتصورات

(٣) مشكاة المصابيح ، نقلًا عن البيهقي الفصل الثاني ، ص/ ٢٦ .

الحديثة أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية إساءة إليها لا إحسان ، وإضعاف لها لا تقوية ، وتعريض للخطر لا حصانة ، ونزول بها إلى المستوى الوطنى المنخفض لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس .

العناية بتربية السيرة :

والوظيفة الثانية للجامعات هى تربية السلوك والسيرة ، حتى يكون المتخرجون فيها قدوة للعلماء والدعاة فضلاً عن أفراد الأمة وأحاد الناس ، فلتوجد الجامعات سيرة يربأ صاحبها بنفسه عن أن يبيع ضميره «بحفنة من شعير» إن الفلسفات والنظم المضادة للإسلام ترى أن إنسان اليوم يمكن شراؤه فى السوق بقيمة أو بأخرى ، فإن لم يرض بهذه الكمية من الثمن فسيرضى بكمية منها ... وسر النجاح الحقيقى للجامعة ما أن ترى السيرة ، فتخرج رجالاً من المثقفين لا يرضون أن يبيعوا ضمائرهم بأى قيمة مها كانت رفيعة غالية ، ولا تستطيع فلسفة هادمة أو دعوة منحرفة ، أو حكومة ذات سياسة خاطئة ، أو قوة مدمرة ، مها كانت لبقة ذات دهاء ، أن تشتريهم بأى ثمن غال ، ويقولون بملء أفواههم بلسان المقال أو بلسان الحال :

«نرى العنقاء أكبر أن تصادا» .

يقول الدكتور محمد إقبال :

«إن حرية القلب هى سيادة وسلطان ، أما العناية الزائدة بالبطن فهى مدعاة للموت ، والخيار بيدك ، فلما هذا وإما ذاك» ، يا أيها الطائر اللاهوتى ! (يخاطب الإنسان المسلم) أعلم أن الموت خير من القوت الذى يقصر جناحك ويمنعك من التحليق» .

من عوامل التأثير في المجتمع وقوة المقاومة للتحديات والمغريات :

ومحلولي أن أنقل هنا قطعة من كتابي : «رجال الفكر والدعوة في الاسلام (الجزء الأول)» بمناسبة الحديث عن زهد الإمام أحمد بن حنبل وتوكله على الله وعزوفه الزائد عن أموال الحكومة وعطاء الخليفة والأمراء :

«وقد رأينا الزهد^(١) والتجديد مترافقين في تاريخ الاسلام : فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار ، وغير مجرى التاريخ ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الاسلامي أو افتتح عهداً جديداً في تاريخ الاسلام ، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين ، وظل قروناً يؤثر في الأفكار والآراء ، وسيطر على العلم والأدب ، إلا وله نزعة في الزهد ، وتغلب على الشهوات ، وسيطر على المادة ورجالها ، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة ، والاعتداد بالشخصية والعقيدة ، والاستهانة برجال المادة ، وبصرعى الشهوات ، وأسرى المعدة ، ولذلك ترى كثيراً من العبقرين والنوابغ في الأمم ، كانوا زهاداً في الحياة ، متمردين على الشهوات ، بعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء في زمانهم ، ولأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة ، ويشعل المواهب ويلهب الروح ، والدعة والرخاوة تبلد الحس ، وتتم النفس ، وتميت القلب» ،

(١) ليس المراد به الزهد الأعجمي أو المسيحي الرهباني ، فلا رهبانية في الاسلام ولا يجوز تحريم ما أحل الله من الطيبات ، إنما المراد به سمو النفس والنظر ، والزهد في زخارف الحياة وفضولها وكمالياتها ، والتهافت على حطام الدنيا ، والتنافس في الجاه والمنصب .

روح التضحية والفداء :

والمسئولية الثالثة للجامعات الاسلامية أن تخرج شباباً يقفون حياتهم لخدمة الأمة ، ويستعدون للتضحية والفداء ، ينعمون بالجويع بما لا ينعمون بالشبع والرى والتنعم والتمتع بالحياة ، ويطيّبون نفساً بالحرمان ، ما لا يطيّبون بالوجدان ، ويصرفون أوقاتهم وقواهم الخيرة ومؤهلاتهم الفكرية والعلمية ، والرصيد العلمي والفكرى الذى زودتهم به جامعاتهم ، فى رفع رأس الأمة عالياً وفى أعلاء كلمة الله ، وفى صنع أمة ذات رسالة ، وبناء بلد مسموع الكلمة مرهوب الجانب .

فهذان أمران لا بد منها : الأمر الأول أن توفر الجامعات الاسلامية غذاءً يشبع العقل والقلب معاً ، وضوءاً ينير لها الطريق فى وقت واحد ، حتى يتجها جنباً إلى جنب ويتعاون متبادل ، إلى تعزيز الإيمان بالحقائق والعقائد التى آمنت بها الأمة .

تكوين اختصاصات وقدرات

ممتازة فى الدراسة والتحقيق :

ولا بد أن يكون نصب أعينكم هو تخرج الرجال ذوى القدرات العالية ، وأريد أن أصارحكم بهذه المناسبة أن قيمة بلد من البلاد ليست فى كثرة جامعاتها ومعاهدها ، إنها نظرية بالية قد تقادم عهدها ، وأصبح أصحابها يعرفون بالرجعية وقصر النظر ، بل القيمة فى كثرة أبنائه الذين يشبتون تميزهم واختصاصهم فى علم من العلوم وفى مجال من مجالات البحث والتحقيق ، ويقفون حياتهم للبحث والدراسة ، ونشر العلم والثقافة ، وتثقيف الأمة والشعب ،

ورفع معنويات أمتهم . وصنعها أمة ذات قلب وضمير أبى ، وفى كثرة الشباب الذين ينقطعون إلى خدمة الدين والعلم والأمة والبلد ، ضارين الشهرة الكاذبة وريقهم الشخصى عرض الحائط ، وذلك هو المقياس الحقيقى الأصيل ، الذى يقاس به البلد والأمة ، وليكن هذا هو المقياس الوحيد فى الشرق والغرب ، فلا نقيم لبلد قيمة إلا نظراً إلى عدد الشباب الذين يتسامون عن لذائذ الحياة الرخيصة ، والمناصب والجاه ، والتقدم الشخصى ، ويتفرون على العمل الجاد البناء ، وعلى العمل العلمى الإيجابى النافع ، على رفع مستوى الأمة عقلياً وفكرياً ، وعلى التوصل إلى نظريات علمية ذات أهمية ، وعلى بحث علمى مضمّن يتطلب الصبر والتحمل على تعزيز البلاد من جميع النواحي .

إن قيمة الشعوب والأمم - فضلاً عن قيمة الجامعات والمؤسسات - وسر عظمتها وما تستحق به من إجلال وإكبار ، وتقدير واعتراف ، وجود أصحاب تفوق واختصاص وشهرة عالمية ، فى علوم وآداب ، ومجالات علمية ، وبحوث واكتشافات جديدة ، وهذه كانت ميزة الأمة الإسلامية فقد كانت للمسلمين الرئاسة العلمية والزعامة الفكرية نَحْوَ من ألف سنة على الأقل^(١) ، باقرار من المؤرخين الأوروبيين .

(١) إذا اعتبرنا القرن الثانى الهجرى - وهو زمن الحكم الأموى الواسع - بداية تأثير المسلمين العلمى الفكرى فى الشعوب والبلاد المتحضرة التى كان يحكمها المسلمون ، وسلمنا استمراره إلى القرن الحادى عشر الهجرى ، فقد نشأت الحركة الانتقالية فى أوروبا Renaissance فى القرن الرابع عشر المسيحى ، وانتشرت فى القرن السابع عشر المسيحى (الحادى عشر الهجرى) وتميزت بازدهار الأدب والفن بانبلاج فجر العلم الحديث فى الغرب المسيحى .

ومن واجبات المتخرجين في جامعاتنا النابغين أن يهيئوا بديلاً عن كتب المستشرقين وعلماء الغرب في التاريخ الاسلامى وفي تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى والعلوم الاسلامية ، كالحديث والفقه وأصول الفقه وتاريخ التشريع الاسلامى ، التى اعتبرت مرجعاً فى هذه المواد ، وقررت في كثير من الجامعات العربية والاسلامية واعتمد عليها كثير من أساتذتها ومن الباحثين في هذه الموضوعات وأصحاب رسائل الدكتوراة ، فبثت السموم في عقول كثير من الدارسين والباحثين الناشئين ، وأنشأت شبهات حول الاسلام والمصادر الاسلامية وأحدثت في نفوسهم يأساً عن مستقبل الاسلام ومقتاً على حاضره ، وسوء ظن بماضيه ، كما أن لها سهماً كبيراً في الحث على «إصلاح الديانة وإصلاح القانون الاسلامى»^(١) وليكن للبلاد الاسلامية والشعوب المسلمة اكتفاء ذاتى في الثقافة والتربية كما يجب أن يكون لها استقلال في مجال السياسة والاقتصاد .

تلك هي أهداف حقيقة يجب أن نصبو إليها ، ونضعها في اعتبارنا ، ونجعلها نصب أعيننا ، أما مجرد التعليم والتثقيف ، والتأهيل لشغل الوظائف والمناصب ، فليس مما يثنى به على جامعة ، وليس أبداً مما يجلب الحمد ويستخرج الاعجاب .

(١) ليرجع التفصيل إلى بحث الكاتب بعنوان «المستشرقون ، نفوذهم في ميدان التفكير ، في كتابه «الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية» ص ١٨٧ - ١٩٨ الطبعة الرابعة دار القلم - الكويت .

الغرض الأصيل من العلم والأدب ، هو نفع
روح الإيمان واليقين في الحياة والمجتمع :

يجب أن يكون هدف الجامعة - التي قامت في هذا العهد
العصيب ، وفي هذه البلاد المتأزمة - أن تعمل على إزالة
الاضطراب والقلق الذي يسود جميع الدول الإسلامية منذ مائة
عام تقريباً ... تفككت عرى عقائدنا منذ بدأ الغزو الفكري
والخضاري الغربي ، وحدث صراع نفسي وفكري استنفدت
مقاومته معظم القوى العقلية والفكرية والعلمية لدى الدعاة ... ان
ذلك الوضع غير طبيعي يجب أن يزول في أقرب وقت ، لكي تتوجه
هذه القوى والقدرات إلى الأهداف البناءة وإلى إنقاذ البلد ودفع
عجلته إلى الأمام .

الحقيقة أن الأدب والشعر ، والفنون الجميلة والحكمة
والفلسفة ، والتأليف والتصنيف ، ليس من وراء كل ذلك إلا
غرض واحد ، وهو أن تتولد في صاحبه حياة جديدة ، وإيمان
جديد ، وبالتالي في الأمة التي هو عضو فيها والمجتمع الذي هو جزء
منه .

وأود أن أنشد لكم أبياتاً قالها شاعر الاسلام الدكتور محمد
إقبال وهو يخاطب الأديب والشاعر ، لأنه ينطبق على الوضع الذي
نعيشه جميعاً :

«يا أهل الذوق والنظر العميق ! أنعم وأكرم بنظركم ، ولكن
أى قيمة للنظر الذي لا يدرك الحقيقة ؟ لا خير في نشيد شاعر ولا في
صوت مغن ، إذا لم يفيض على المجتمع الحياة والحماس ، لا بارك
الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور والخمول

والذوى والذبول» .

إن الأوضاع التي نمر بها نحتاج فيها إلى أن نأتى بأعجوبة ، وتلك الأعجوبة سوف لن تتحقق إلا عن طريق الرسالة الإسلامية ، لأنها وحدها التي تجعل حاملها يصنع المعجزات ويأتى بخوارق العادات ، ويبطل المقاييس ، ويحطم المعايير التقليدية ، ويسخر من كل الموازين التي آمن بها العالم الغربي الجاهلى ، يقول الدكتور محمد إقبال : أنا لا أعارض التذوق بالجمال والشعور به ، فذلك أمر طبيعي ، ولكن أى فائدة للمجتمع من علم لم يكن تأثيره فى المجتمع كتأثير عصا موسى فى الحجر والبحر ، وذلك أن الأمم لا يرتفع شأنها ومكانها فى خريطة العالم حتى تقدر على صنع المعجزات» .

دور مصر الاسلامية القيادى فى العالم الاسلامى :

إن مصر الاسلامية اليوم بفضل ما سجل لها التاريخ من دور رائع فى إنتاج عدد كبير من المؤلفين والمحققين ، والمحدثين والمؤرخين ، والقادة والمجاهدين ، وما قامت به من دور حاسم فى الحروب الصليبية^(١) والغزو التتارى^(٢) ، وما تملكه من وسائل

(١) ذلك عن طريق حاكم مصر وقائدها الملك الناصر السلطان صلاح الدين الايوبي ، وانتصاره فى معركة حطين الفاصلة فى ١٤/ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) ، واستعادته بيت المقدس للمسلمين (بعد نحو تسعين سنة من استيلاء الصليبيين عليه) فى ٢٧/رجب ٥٨٣هـ (١١٨٧م) ، وصلاح الرملة فى سنة ١١٩٢ المسمى .

(٢) إشارة إلى انتصار سلطان مصر المملوكى المظفر سيف الدين قطز ، وقائده ظاهر بيبرس البندقدادى فى معركة عين جالوت فى رمضان ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) وانتهزام التتر انهزاما عديم المثال غير مجرى التاريخ ، وأعاد الثقة إلى المسلمين ، فقد كان من الأمثال السائرة ومن المسلمات التى لا تقبل الجدل (إذا قيل لك أن التتر قد انهزموا فلا تصدق) .

النشر والتصدير ، والقيادة في العلم والأدب ، وبفضل وجود الأزهد الشريف ، تحتاج بصفة خاصة إلى هذه القدرة على صنع الخوارق ، والتأثير في المجتمع كتأثير عصا موسى في الحجر أو البحر ، لأن عليها تعود مسئولية بعث الدول العربية كلها بعثاً جديداً ، إن عليها أن تنفخ روحاً جديدة في البلاد العربية الإسلامية ، وتوجد لديها ثقة جديدة ، وإيماناً جديداً ، ونشاطاً جديداً ، وانتعاشاً جديداً ، وطموحاً جديداً ، وقلباً خفاقاً جديداً ، يتحرق على بؤس الإنسانية وشقائها ، وشجاعة جديدة تبعث على المغامرة والاقتحام ، وجرأة خلقية تستطيع بها أن تنفخ الحياة في هذه الأمم والأقوام المشرفة على الهلاك ، التي تزل أقدامها ، وترتعش أعصابها ، وتخفق قلوبها ، وتتعثر عقولها ، وقد كانت مهد الانتفاضة الإسلامية والدعوة القوية إلى الصحو الإسلامية الشاملة حين ساد الجمود والخمود على كثير من الأقطار العربية ، ولا يزال لها جوهر إسلامي تقي يبرز لامعاً صافياً إذا نفّض الغبار عنه .

والحمد لله رب العالمين .

مباحث الكتاب

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول :	
الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر	٩
الفصل الثاني :	
الدعوة الإسلامية في الهند	٢٣
الفصل الثالث :	
دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة وتربية العلماء	٥٥

صدر من هذه السلسلة

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة - الدكتور حسن باجودة
- ٢ - الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه - الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين - الأستاذ نذير حمدان
- ٤ - الاسلام الفاتح - الدكتور حسين مؤنس
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري - الدكتور حسان محمد مرزوق
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن - الدكتور عبد الصبور مرزوق
- ٧ - التخطيط للدعوة الاسلامية - الدكتور محمد علي جريشة
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية - الدكتور أحمد السيد دراج
- ٩ - التوعية الشاملة في الحج - الأستاذ عبد الله بوقس
- ١٠ - الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره - الدكتور عباس حسن محمد
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم - د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل - الأستاذ محمد طاهر حكيـم
- ١٣ - مولود على الفطرة - الأستاذ حسين أحمد حسون
- ١٤ - دور المسجد في الاسلام - الأستاذ محمد علي مختار
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم - الدكتور محمد سالم محيسن
- ١٦ - البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام - الأستاذ محمد محمود فرغلي
- ١٧ - حقوق المرأة في الاسلام - الدكتور محمد الصادق عفيفي
- ١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكام وآياته [١] - الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها - الدكتور شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الاسلامية - الدكتور عبد الستار السعيد
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها - الدكتور علي محمد العماري
- ٢٢ - حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم - الدكتور أبو اليزيد العجمي
- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا - الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر - الدكتور عدنان محمد وزان
- ٢٥ - الاسلام والحركات الهدامة - معالي عبد الحميد حمودة

٢٦	تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	الدكتور محمد شوقي الفنجري
٢٨	وحي الله	الدكتور حسن ضياء الدين عتر
٢٩	حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠	المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار
٣١	القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢	الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج	الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣	الاعلام في المجتمع الاسلامي	الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤	الالتزام الديني منهج وسط	عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٣٥	التربية النفسية في المنهج الاسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦	الاسلام والعلاقات الدولية	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٣٧	العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨	معاني الأخوة في الاسلام ومقاصدها	الدكتور محمود محمد بابلي
٣٩	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	الدكتور علي محمد نصر
٤٠	من التراث الاقتصادي للمسلمين	الدكتور محمد رفعت العوضي
٤١	المفاهيم الاقتصادية في الاسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢	الاقليات المسلمة في أفريقيا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣	الاقليات المسلمة في أوروبا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤	الاقليات المسلمة في الأمريكتين	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥	الطريق إلى النصر	الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦	الاسلام دعوة حق	الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧	الاسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨	دحض مقترحات	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩	المجاهدون في فطاني	الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠	معجزة خلق الانسان	الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	الدكتور سيد عبد الحميد مرسي
٥٢	ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي	الأستاذ أنور الجندي
٥٣	الشورى سلوك والتزام	الدكتور محمد أحمد البابلي
٥٤	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أسماء عمر فدعق
٥٥	مدخل إلى تحصين الأمة	الدكتور أحمد محمد الخراط

- ٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣] - الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٥٧- كيف تكون خطيباً - الشيخ عبد الرحمن خاف
- ٥٨- الزواج بغير المسلمين - الشيخ حسن خالد
- ٥٩- نظرات في قصص القرآن - محمد قطب عبد العال
- ٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات - الدكتور السيد رزق الطويل
- ٦١- بين علم آدم والعلم الحديث - الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
- ٦٢- المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان - الدكتور محمد الصادق عفيفي
- ٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] - الدكتور رفعت العوضي
- ٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد - الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
- ٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١] - الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشريعة - الأستاذ عبد الغفور عطار
- ٦٧- العدل والتسامح الاسلامي - الأستاذ أحمد المخرنجي
- ٦٨- القرآن كتاب أحكمت آياته [٤] - الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٦٩- الحريات والحقوق الاسلامية - محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
- ٧٠- الانسان الروح والعقل والنفس - الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
- ٧١- كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية - الدكتور شوقي بشير
- ٧٢- الاسلام وغزو الفضاء - الشيخ محمد سويد
- ٧٣- تأملات قرآنية - الدكتورة عصمة الدين كركر
- ٧٤- الماسونية سرطان الأمم - الأستاذ أبو اسلام أحمد عبد الله
- ٧٥- المرأة بين الجاهلية والاسلام - الأستاذ سعد صادق محمد
- ٧٦- استخلاف آدم عليه السلام - الدكتور علي محمد نصر
- ٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢] - محمد قطب عبد العال
- ٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢] - الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٧٩- كيف تُدرّس القرآن لأبنائنا - الأستاذ سراج محمد وزان

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

كتب و رسائل للمؤلف ..

- العقيدة والعبادة والسلوك .
- المسلمون في الهند .
- الإسلام - أثره في الحضارة و فضله على الإنسانية .
- نفحات الإيمان بين صنعاء و عمان .
- النبي الخاتم .
- و أذن في الناس بالحج .
- القرن الخامس عشر الهجري .
- الجديد في ضوء التاريخ و الواقع .
- دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي .
- فضل البعثة المحمدية على الإنسانية .
- عاصقة يواجمها العالم الإسلامي و العربي .
- الفتح للعرب و المسلمين .
- الإمام الذي لم يوف حقه .
- الإنصاف و الاعتراف مواساة أم مساواة .
- نحو تكوين إسلامي جديد .
- خليع بين الإسلام و المسلمين .
- كيف دخل العرب التاريخ .
- و اعتصموا .
- التفسير السياسي للإسلام .
- كارثة العالم العربي .
- الدعوة الإسلامية في الهند و تطوراتها .
- الإسلام و الغرب .
- روائع إقبال .
- صورتان متضادتان عند أهل السنة و الشيعة الإمامية .
- احاديث صريحة مع اخواننا العرب و المسلمين .
- الإسلام و المستشرقون .
- المد و الجزر في تاريخ الإسلام .
- الاجتهاد و نشأة المذاهب الفقهية .
- العرب يكتشفون أنفسهم .
- ردة و لا أبابكر لها .
- بين نظرتين .
- نحن الآن في المغرب .
- درس من الحوادث .
- منهج أفضل للدعاة و العلماء .
- في ظلال البعثة المحمدية .